15 em Année No. 743

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 29 — 9 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

« سياسة » أرسطو

للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة غير كما يقولون

ولكن « سياسة » أرسطو شىء لا يتغير على الزمن لأنها تقوم على عمل عقل كبير ، وقد تتغير النظم ، وتتبدل الدساتير ، وتختلف الحكومات ، ويتفاوت الحاكمون ، ويبقى العقل الإنسانى فى عمله دراسة صالحة لكل عقل ، وميداناً فسيحاً لكل مشغول بثمرات العقول

وكتاب أرسطو فى السياسة هو الكتاب الثالث من كتب هذا الفيلسوف المظيم ، التى زفها إلى المكتبة العربية رائد السياسة الديمقراطية فى هذا الجيل ، وأستاذ كتاب مصر فى مطلع القرن العشرين ، العلامة العامل فى شبابه وشيخوخته ، صاحب المعالى أحمد لطفى السيد باشا ، مد الله فى عمره ، وهيأ له من الوقت والصحة ما يعينه على إتمام عمله والاحتفاظ بهمته وجهده

ولا وجه للمقابلة بين مترجمات أرسطو إلى العربية من قبل ومترجماته إليها على يد العلامة الجليل

لأن ما ترجم من أرسطو إلى العربية قبل اليوم إنما هو مقتبسات أو مرويات فى حكم المقتبسات ، تصرف فى نقلها إلى هذه اللغة أناس مشكوك فى علمهم باليونانية ، مقطوع بجهلهم لأسرار العربية ، منصرفون إلى غير الفلسفة أو قاصرون عن التوفر عليها ، فلولا فطنة فلاسفة الإسلام ، أو اطلاعهم على أرسطو فى لغته الأصيلة ، لما وصل إلينا من فلسفة أرسطو هذا النصيب الذى سجلته الثقافة العالمية لثقافة العرب والإسلام .

أما هذه الكتب الثلاثة التى ترجمها الأستاذ الجليل — وهى كتاب الأخلاق وكتاب الكون والفساد ، وكتاب السياسة فهى أول شىء يسمى ترجمة للمعلم الأول بمعنى الترجمة الصحيح ، وهى تعريف لقراء العربية بهذا الفيلسوف يضارع ما تهيأ للأمم الأوربية من العلم به فى مجال هذه الدراسات . لأنه تعريف يجمع الشمول إلى التدقيق من جانب المترجم الكبير ، ويؤلف ما تفرق من المقتبسات والمرويات فيقيمها بنية كاملة ، تحيا بأعضائها ، ولا تخفى بأشلائها ، بين الصحائف والأضابير .

وقد اعتمد لطفى باشا فى نقل كتاب السياسة ، كما اعتمد فى نقل الكتابين الآخرين ، على ترجمة « بارتلمى سانتهيلير » أستاذ الفلسفة فى « كوليج دى فرانس » ووزير الخارجية الفرنسية فى وقت من الأوقات ، واعتمد كذلك على مقدمته فنقلها بجملتها ولم يشأ أن يضيف شيئاً إليها من عنده ، وهى فى اعتقادنا تستدعى الإضافة إليها لسببين : أحدهما أن « سانتهيلير » قد ذكر فى مقدمته أن رجل الفكر لا يتجرد كل التجرد من أحوال زمانه وبيئة قومه ، وكان هو نفسه مصداقاً ظاهراً لصحة هذا الرأى الذى لا شك فيه ، فكان فرنسيا قبل كل شىء فى

تدليله وإدلاله بقسط الأمة الفرنسية من ترقية المعارف السياسية والنظم الحكومية . مع أنه قنع بالقليل من حوادث عصر أرسطو التي لها مساس بشخصه وتوجيه ذهنه وشعوره ، فلم يذكر منها الكثير الذي لا غنى للقارئ عن ذكره في هذا المقام .

والسبب الثاني الذي كان يطمعنا في مقدمة للكتاب بقلم علامتنا الجليل أن العربية لها كلمة تقال في فلسفة أرسطو على الإجمال ، لأنها شغلت العرب زماناً طويلا وشغلوا بها أبناء الأمم الأخرى زماناً أطول . وليس أحق من لطفي باشا بأن يقول هذه الكلمة ، وهو يحيي عهد أرسطو في الشرق العربي من جديد ، ويتكلم باسم جامعة مصر التي تولاها في صباها ، وباسم النهضة الفكرية التي سايرها منذ نشأتها الأولى .

ويبدو لنا أن الأستاذ الجليل قد حرص غاية الحرص على نصوص الترجمة الفرنسية ، فأتى بها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة في تركيب أسلوبها وترتيب جملها ، ولم يسوغ لنفسه أن ينقل الكلمات والمعاني إلى الأسلوب المعهود في كلام العرب ، محافظة منه على الأصل الفرنسي في لفظه ومعناه .

مثال ذلك قوله : « وعنده أن كائناً لا يخصص إلا لغرض واحد . لأن الأدوات تكون أكمل كلما صلحت لا لاستعمالات متعددة ، بل لاستعمال واحد . وعند المتوحشين المرأة والعبد هما كائنان من طبقة واحدة . والسبب في ذلك بسيط ، وهو أن الطبع لم يجعل بينهم البتة من كان للإمرة . فليس فيهم حقاً إلا من عبد ومن أمة . ولم ينخدع الشعراء إذ يقولون : أجل للاغريق على المتوحش حق الإمرة ... »

ومثال قوله في المقدمة : « فقد استطاع أن يجد بين تخالف الخلق الأدبي للناس وبين تخالف أنواع الحكومات المشابهات الأظهر ما يكون والأحق ما يكون ... »

وتقاس على ذلك أمثلة كثيرة في سائر فصول الكتاب والذي نلاحظه أنه لم تكن ثمة ضرورة لالتزام النص الحرفي في ترجمة سانتهيلير لأن الكتاب إغريقي في لغته الأولى ، ولأنه هو نفسه لم يلتزم نص الكتاب الإغريقي إذا صح ما تأدينا إليه من معارضة الترجمة على الترجمات الإنجليزية المختلفة . فقد حذف بعض الكلمات من أوائل الفصول ، ونقل بعضها على غير معناه الذي يدل عليه السياق . ومن ذلك مثلا أن الترجمة العربية تقول عن الرجل والمرأة :

« ... من الضروري اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، أريد أن أقول اجتماع الجنسين للتناسل ، ليس في هذا شيء من التحكم »

ولا أثر لكلمة التحكم في ترجمة من الترجمات الإنجليزية الثلاث . فباركر – عمدة المترجمين – يترجمها بالقصد intention ووليام أليس يترجمها بالاختيار Choice وجويت يترجمها بالغرض Purpose وبين هذه المعاني جميعاً وبين معنى التحكم فرق في الدلالة له شأنه في كتاب عن الحكم والحكومات

وقد ترجمت السيادة التي تفرض للاغريقي على البربري بالإمرة . وهي في تقديرنا لا تؤدي المعنى الذي ذهب إليه أرسطو حين أراد أن يكون الحاكم إماماً أو زعيما للاغريق وسيداً للفرس والبرابرة . فإن علاقة الإمرة هي علاقة آمر بأمور ، وهي قد توجد بين الإمام والمأموم وبين الزعيم وتابعيه ، وهي غير العلاقة بين السيد والمسود

ومن خطأ الطبع فيما نظن ما ورد في الصفحة الثالثة والتسمين عن سكا كين ولف ، وهي السكاكين الدلفية كما هو معلوم .

كذلك نظن – من مقابلة الترجمة العربية – أن سانتهيلير لم يلتزم الحرفية في التفرقة بين معاني العدل المختلفة في الكتاب ، وهي معاني الأنصاف أو القسط والعدل والناموس فيما نؤثر لها من ترجمة قياساً على النسخ الإنجليزية ، وتقابل في اليونانية Dike و diakasterion و Nomos على ما جاء في الترجمات الإنجليزية التي أسلفنا الإشارة إليها

* * *

فإذا صح ما قدرناه من التزام النسخة العربية لنصوص سانتهيلير ، فقد كان الأستاذ الجليل في حل من هذا الالتزام ، وفي حل من التقيد بترجمة واحدة في اللغة الفرنسية ، وهي على ما نعتقد قد اتسمت لغيرها من الترجمات

على أن هذا التصرف كله لا يحجب عنك معالم أرسطو الواضحة من عبارات الترجمة الفرنسية كما نقلت إلى اللغة العربية ، فيخرج منها القارئ في غير شك وهو يشعر أنه قد تابع أرسطو في تفكيره ومنهجه وتفصيل معناه في جميع ما توخاه .

ونلاحظ غير ما تقدم أن اسماً واحداً قد يترجم بلفظين ، كترجمة « برسـيا » بإران فى الصفحة الخامسة والعشرين ، وترجمها بفارس أو الفرس فى مواضع أخرى من الـكتاب ، وهى الترجمة الصحيحة لـما كان متداولا على ألسنة الإغريق من تسمية الفرس الأقدمين .

***

وقد يسأل سائل : ما لنا وسياسة أرسطو اليوم وقد طرأ علينا فى العصور المتتالية من حوادث الأمم وضروب الحكم وعبر التاريخ ما لم يكن يخطر لفلاسـفة اليونان ، ولا لفيلسـوف فى الزمن القديم ، على بال !

وقد يقال فى جواب ذلك أن الزمن — فى الواقع — لم يغير كثيراً من جوهر الآراء التى أثبتها أرسطو فى كلامه على طبائع الشعوب وما يلائمها من الحكام والدساتير ، ولم يغير كثيراً من جوهر القواعد التى بنى عليها تجريحاته فى التفرقة بين أنواع الحكومات أو وظائف السلطات أو أسباب الثورات ، وأن قيمة الـكتاب التاريخية لا يتطرق إليها الشك إذا جاز الشك فى قيمته السياسية عند تطبيقه على الوضع الحديث .

ولـكننا ندع هذا الجواب ونستغنى عنه لأننا نستطيع أن نقول مقالا لا تـكثر اللجاجة فيه ، وذلك أننا هاهنا أمام ظاهرة عقلية يقل نظيرها فى تواريخ بنى الإنسان ، وأن علماء اليوم ، وعلماء الغد إلى آخر الزمان ، لا يستكثرون شد الرحال إلى أقصى المعمور ليدرسوا طبيعة حشرة من هوام الأرض ، ويستكنهوا حقيقة كائن حى من أحقر الـكائنات ، فلو مضى القياس على هذا لـما كان كثيراً على إنسان أن ينطلق إلى المريخ ليرى عقل أرسطو يتحرك فى دخيلة عمله ويسلك سبيله إلى أسرار الحقائق فيبلغ منها غاية ما ترتقى إليه عقول البشر جميعاً ، وهو فى زمانه لا يتلق معونة ما من أدوات البحث الحديثة ، ولا يعتمد على ركن ما من أركان العلم الحديث .

وأى عقل هو عقل أرسطو هذا الذى نراه فى دخيلة عمله وحركة تفـكيره وبحثه ؟ هو عقل لا يفاق عليه إن لم يكن هو أكبر العقول .

ليس بالـكثير على كشف خبايا هذا العقل أن نرحل إلى المريخ لنظفر بسره ، لو كلفنا الـكشف عنه هذه الرحلة ، واستطعنا قضاء هذا التكليف .

وعلامتنا الـكبير لم يكلفنا بحمد الله الذهاب إلى المريخ ، ولا الذهاب حتى إلى أرض يونان وهى فى العدوة الأخرى من بحر الروم !.. بل حمل إلينا هذه الذخيرة قريبة منا ناطقة بلساننا ، مهيأة لأفهامنا ، فأهون ما تستحقه من جهد أن نطلع عليها ونستزيده منها ، ونرجو له دوام القدرة على إمداد هذه اللغة ببقية هذا الـكنز الثمين ، لأنه كنز لم تخل من ذخائره كلها — غير لغتنا العربية — لغة من لغات الحضارة فى هذا الجيل .

عباس محمود العقاد

إعـــلان حرب !

للأستـــاذ علي الطنطاوي

كانت برهة ما بين الحربين ، امتحاناً لنا ، معشر العرب ، واختباراً لمزائمنا ، وقد خرجنا من هذه المحنة ناجحين مظفرين وأثبتنا أننا لم نضع إرث الجدود ، ولم نفقد عزة الإسلام ، وأنه لا يزال في عروقنا دم الأجداد ، ولا تزال في قلوبنا عزائمهم وأرينا الدنيا كلها أن استماتة الحق تغلب قوة المبطل ، حين حاربنا ونحن شعوب عزل جيوش الدول التي انتصرت في الحرب الأولى وسكرت بخمرة الظفر ، وحسبت أنها شاركت الله في ملكه ، وزاحمته على سلطانه ، فقابلتها شراذم منا ، مالها سلاح إلا سلاح الحق وما تنتزعه أيدي عدوها ، وثبتت لها وأرهقتها عسراً من أمرها ، حتى لانت لها ؛ أو نزلت على مطالبها : حاربنا الإنكليز في شوارع مصر ، وفي مهول العراق ، وفي ربوع فلسطين ، وحاربنا الفرنسيين في جنان دمشق ، ورحاب حماة ، وشعاف الجبل وحاربنا فرنسا وأسبانيا معاً في سوح الريف الأقصى ، وحاربنا الطليان في طرابلس ، وثرنا على الغاصب في كل بقعة من أرض العرب ، وما خليناه ليلة من إزعاج ، ولا أرحناه ساعة واحدة ، ولكن كنا نحارب شعوباً لا حكومات ، أما حكوماتنا فكانت علينا مع عدوها وعدونا ، حتى استقر في أفهام الشعب أن حكومته خصم له ، وحتى صرنا في الشام إذا أثرنا ثورة أو سيّرنا مظاهرة ، أعملنا سلاحنا في إخواننا من رجال الشرطة ، كأعملنا في خصومنا من الفرنسيين ومن كان يناصرهم علينا وقت الثورة من المغاربة والشراكسة والأرمن والسنغاليين ، وحتى كدنا نفقد على طول المدى ، توقير الأنظمة ، وتقديس القوانين ، لأنها من عمل الأجنبي وعمل عبيده ، لا يضعونها إلا لمصالحهم ، وضمان منافعهم إلى أن كان حادث مايو سنة ١٩٤٥ وجُنّ الفرنسيون الجنة الكبرى فأبوا إلا أن يظهروا ديمقراطيتهم ... وعدالتهم ... ومبادئ ثورتهم ... دفعة واحدة ، فضربوا المدينة الآمنة بقنابل الطيارات ، وقذائف المدافع ، من القلاع المنصوبات على الجبال ورموا بالنار ، الأطفال في المدارس ، والمرضى في المشافي ، والمحبوسين في السجون ، وأحرقوا البيوت وهدوها على أهلها ، وقتلوا رجال مصلحة الإطفاء الذين جاؤوا ليطفئوها ، وفعلوا كل ما يليق بحضارتهم وتاريخهم وأمجادهم . . ولا ينتظر غيره منهم .

هنالك رأينا ، أول مرة ، رجال الشرطة والدرك يقاتلون معنا ويدافعون عنا ، ورأينا الرؤساء والوزراء في صفنا ، يحملون ما حملنا ، وينالهم ما نالنا ، فذكرنا ، وقد طالما نسينا ، أنهم إخواننا ، وأنهم منا .

ولبثنا من ذلك اليوم ، نرى الأدلة متتابعة متتالية ، على أننا قد استقللنا ، ونزح العدو عنا ، وجلا عن أرضنا ، وصار حكامنا منا ، لا أقول إن الحكومات قد صلحت حتى ما نجد لها فساداً ولا نلقى منها ضرراً ، كلا ، ولا خلص رجالها من أوضار هذا الماضي ، ولا أزالوا آثاره ، ولا يمكن أن تزول في أربع سنين وقد لبث الناصبون وأعوانهم ، يثبتونها ويبنونها ، دائبين على بنائها عاملين على تثبيتها ، خمساً وعشرين سنة ، ولكن أقول ، أننا (أخذنا) ننزع من نفوسنا تلك الصورة السوداء للحكومة ونغسل عنها صبغة العداوة التي كنا نراها مصبوغة بها ، ونعيد إلى أفهامنا توقير الأنظمة والقوانين ، لأنها (بدأت) تصير من صنع أيدينا ، و(شرع) واضعوها يفكرون في وضعها لمنفعتنا ، وضمان مصلحتنا ، لا لمنفعة الوزراء الحاكمين ، ولا لمصلحة الغرباء الناصبين

ثم تتالت الآيات والدلائل ، وكانت جامعة دول العرب ، وكانت المقاطعة القانونية للصهيونيين ، وكان اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم ، وكانت رحلة النقراشي إلى أمريكا ، وقوله فيها ما أجمت الكلمة على أنه لا يقول أكثر منه خطيب متحمس ، ولا مؤرخ حكيم ، ووجد فيه كل مصري ترجماناً عن أفكاره ، ومعبراً عن مقاصده ، وكان موقف فارس الخوري من قضية مصر ، موقفاً سر كل عربي في الدنيا ، وكانت فتنة سوريه الكبرى ، وكان رأي الحاكمين في الشام والمحكومين جميعاً ، ورأي الدول العربية كلها (إلا مملكة الأردن) واحداً فيها ، ثم كان هذا الحادث العظيم الذي عقدت له هذا المقال ، والذي سيعقد عليه في تاريخ العرب ، فصل مترع بالفضائل والأمجاد ، والذي سيكون مولد (الشرق الجديد) كما كانت هذه الحرب الماضية مصرع (العرب العتيق) ... والأيام دول والدهر

ميزان ، فما ترى كفة إلا لتطيش ، وما يرتفع طائر إلا ليهبط ولقد أشرقت من الشرق شمس الحضارة ، من مصر وبابل والشام، ثم مالت إلى الغرب ، إلى يونان وروما ، ثم عادت تطلع من الشرق مرة ثانية ، من المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة ، ثم مالت إلى باريس وبرلين ولندن ، وهذا يوم ثالث ، قد أوشكت أن تشرق شمسه على هذا الشرق ، فينفض عنه غبار النام ، ويهب ... لقد انقضى الليل، وأذن المؤذن من ذرى لبنان ... من اللجنة السياسية للدول العربية ، التي قرر فيها رجال مسؤولون ، لا أدباء متحمسون ، وأعلنوا بلسان حكوماتهم ، إنهم سيحلون عقدة فلسطين ومصر ، كما حل الإسكندر عقدته المشهورة : بالسيف !

هذا هو الحادث العظيم ، وقد قرأ القراء تفصيله في الصحف فما أعيده عليهم . . . وهذا أول الجد ، وهــــذا الذى كنا نتمنى بعضه فلا نصل إليه ، ونطلبه فلا نجده ، وهذا الدليل على أننا استقللنا ، وعلى أن حكوماتنا منا وإلينا ، وأنها تنطق بألسنتنا ، وأن هواها هوانا ، وأنه لم يبق في رجالها من يصانع عدواً ، أو يخافه ، أو يتزلف إليه . وأن جيوشنا لنا ، تسالم من سالمنا ، وتعادى من عادينا ، وتذود عن بلادنا ، وكل بلد عربى بلد العرب كلهم ، وكل عدو له عدو لهم ، وكل قضية له قضية لهم .

***

إننا نغفر لحكوماتنا ، بهذا الموقف ، كل ما لقينا منها في السنين الخوالى ، ونعده إسلاماً منها بعد كفر ، والإسلام يجب ما قبله ، فليحسن إسلامها ، ولا يكن كلمة تقال باللسان : إنها قد أعلنت الحرب في الخارج ، فلتعلنها في الداخل ، لتمنع المدد عن عدوها ، فما في الدنيا عاقل يحارب عدواً ويدفع إليه ماله ليقوى به على نفسه ، وولده ليربيه على كرهه ، ولتبحث عن الثغور التي تذهب منها أموالنا إليهم ، فتسدها . بالمقاطعة الاقتصادية ، لا بإلقاء المواعظ للترغيب فيها ، والخطب للحث عليها ، لا ، فهذا كلام فارغ ، ولكن بالقوانين الصارمة ، والعقوبات الشديدة ، كما حرمت معاملة الصهيونيين بقانون ، وحدت لها الحدود الرادعة ، والعقوبات النائمة .

وبذلك ترتقى صناعتنا ، وتجود أخلاقنا ، لأننا سنضع ما نستطيع صنعه مما نفقده بالمقاطعة ، ونصبر عن باقيه ، وقد صبرنا مدة الحرب عن كثير من الضرورى ، وتصبر إنكلترا اليوم عن الخبز المشبع في سبيل وطنها ، ولا تقول شيئاً ، فهلا في مثل هذا قلدناها ؟

على أن في بلادنا (أعنى في بلاد العرب) كل ضرورى ، ولا نفقد بهذه المقاطعة إلا قليلا من وسائل الترف ، مما يضر ولا ينفع .

ولتضع الحكومات العربية القوانين الصريحة بإغلاق كل مدرسة أجنبية ، إنكليزية أو فرنسية أو أمريكية ، وإلا ذهب عملنا هباء ، وكان عبثا ، وأخرجت هذه المدارس من أبنائنا أعداء لنا ، وأعواناً لعدونا ، كما وقع في الشام ، حين تولى ضرب دمشق رجل عربى أبوه شيخ ، اسمه علاء الدين الامام ، عليه لعنة الله

فإذا صنعت ذلك كان علينا ، أن نعلن الهدنة بيننا وبينها ، ونكف في هذه الأيام عن معارضتها ، لنتعاون جميعاً على حرب عدونا وعدوها ، وكان على كل شاب في بلاد العرب كلها ، وكل شيخ ، وكل امرأة ، أن يعلم أنه جندى في هذه الجبهة وأنه يجب عليه أن يعمل فيها شيئاً : يمشى إلى القتال ، إذا جدّ الجدّ ، وجاءت ساعة القتال ، وكان قوياً قادراً ، أو يبذل الفضل الزائد من ماله إذا كان من أصحاب المال ، أو يحارب بقلمه وبلسانه ، إذا كان من أصحاب الألسنة والأقلام ، وعلى كل واحد منا ، وعلى كل واحدة ، أن يحرم على نفسه كل شيء أجنبي ، فلا يأكله إن كان مأكولا ، ولا يشربه إن كان مشروباً ، ولا يمسه إن كان طيباً ، ولا يلبسه إن كان ثوباً ، ولا يقرؤه إن كان كلاماً ، ما لم يكن علماً خالصاً ، أو أدباً إنسانياً صرفاً ، ولا يتداوى به إن كان عقاراً ، ما لم يكن مضطراً إليه ولا يجد مايسد مسده ، ولا يرسل ابنه إلى مدرسة أجنبية ، ولا يدعه يذهب في السياسة والاقتصاد مذهباً أجنبياً ، وأن نمحو أسماءهم من شوارعنا وميادينا ، ونطمس ذكرهم من مدارسنا وبرامجنا ، إلا ببيان حقائقهم ، وهتك السُتر الخادعة عنهم ، وأن نداوى نفوسنا من هذا السل القاتل الذى هو احتقار نفوسنا ، وتعظيم الغربيين ، وأخذ كل ما يأتى منهم أخذ الضعيف ، وأن نوقن أننا أقوياء حقاً ، أقوياء بتاريخنا

وأمجادنا ، وبما تركنا في الدنيا من أثر خيّر نبيل ، وأقوياء بمَددنا وبعزائمنا ، وبأن الحق معنا ، وبأن البلاد بلادنا ، وأن فلسطيننا لنا ، لن يغلبنا عليها ، (شحاد) صهيوني ، ولا محتال انكليزي ، ولا لص أميركي ، لا والله ولا الجن ولا العفاريت ، إنا والله سنمضي إليها على كل سيارة وكل قطار وكل دابة ، ونمشي على أقدامنا إن عز الظهر ، ونعلو إليها كل طريق ، ونسلك إليها كل سبيل ، حتى نترعها رجالاً ، إن أعوزهم السلاح ، فما يعوزهم النبل ولا الإقدام ، رجالاً لا يحبون الحياة الذليلة ، ولا يهابون الموت الشريف ، ولا يتزحزحون ولا يريمون ، ما دام في صدورهم قلوب تخفق ، وفي صدورهم نَفَس يطلع وينزل .

***

فيا أيها الحاكمون ، يا من صرخوا من قمم لبنان هذه الصرخة المدوية ، ابتوا واعلنوا الحرب ، إذا لم تعطوا الحق إلا بالحرب : حرب الكلام وحرب المال وحرب الدم والسنان ، وسيّروا جيوشكم ، فنحن وراءكم ، ونحن أمامكم ، ونحن معكم ، ما نحن للجزيرة ، ولا نحن لهذا الماضي ، ولا نحن لمحمد ، إن وقفنا أو ارتددنا ، حتى نطهر فلسطين من كل رجس صهيوني ونطهر من أنجاس الاستعمار كل بلاد العرب ، ونعيد الحضارة والعزة إلى الشرق ، على رغم أنف الظالمين !

(القاهرة) علي الطنطاوي

ورثة فلسطين :

حجج تاريخية

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن حضرة الدكتور جواد علي أن أعلق شيئاً على مقاله القيم في عدد ١٥ سبتمبر من الرسالة تعليقاً يضيف حججاً إلى الحجج التاريخية ضد ميراث اليهود من فلسطين .

ذكر حضرة الدكتور « أن أسفار التوراة الخمسة الأولى المنسوبة لموسى نزلت على موسى إذ لم يكن موسى قد دخل فلسطين أي أنها نزلت خارج الأرض المقدسة » . طبعاً لأن موسى لم يدخل الأرض المقدسة أرض الميعاد مع شعبه الإسرائيليين الخارجين من أرض مصر . بل مات وهو يشرف على تلك الأرض التي تدر لبناً وعسلاً ولم يدخلها مع شعبه لأن الله أبى عليه دخولها لذنب أتاه .

والحقيقة أن موسى لم يكتب حرفاً واحداً من هذه الأسفار الخمسة وإن كانت تنسب إليه . بل كتبت بعد رجوع بني إسرائيل من سبي السبعين سنة في بابل . فقد سباهم نبوخذ ناصر سبياً جارفاً سنة ٥٨٦ قبل المسيح . فبقوا في بابل سبعين سنة واطلع حكماؤهم الأسلاف والخلفاء منهم على أساطير أشور وبابل وشرائع البابليين والأشوريين ولا سيما شريعة حمورابي العربي الذي فتح ما بين النهرين وحكمه هو وخلفاؤه نحو قرن من الزمن .

ولما فتح كورش الفارسي ما بين النهرين أطلق سراح اليهود فعادوا إلى البلاد التي سُبوا منها وشرع حكماؤهم (حاخاماتهم) يكتبون تاريخ قومهم وأساطيرهم وشرائعهم ممتزجة بأساطير بابل وأشور بل ممسوخة منها . وإذا قارنت الشريعتين الحورابية والإسرائيلية كما هي في سفر تثنية الاشتراع لا تجد إلا فرقاً قليلا بينهما .

وكان موسى قد خرج بشعبه من أرض مصر سنة ١٢٥٠ قبل المسيح فبين الخروج من مصر والعودة من سبي بابل نحو ٧٣٤ سنة . وفي هذه الأثناء لم يكتب حرف واحد من التوراة لأن الكتابة الهجائية لم يكن الفينيقيون قد استنبطوها بعد أو أنها لم تكن قد شاعت في اللغات السامية أو الآرامية بل كانت الكتابة السامية مقصورة على رسوم الأشياء المراد التعبير عنها كرسم رجل للرجل والعين للعين . وهذه الكتابة مقتصرة على النقش في الألواح الحجرية أو الآجر المشوي . وهذه لا تحتمل كتابات التواريخ والشرائع المطولة .

وإذا طالعنا أساطير البابليين وتاريخهم القديم وجدنا تشابهاً كلياً بين تلك الأساطير وقصة التكوين في التوراة وقصة الطوفان وغيرهما ، الأمر الذي يؤكد لنا أن حكماء اليهود اقتبسوا كثيراً من البابليين وزجوه فيما كان أسلافهم يتناقلونه من تاريخهم وأساطيرهم . حتى أن قصة الخليقة في سفر التكوين واردة

مرتين متواليتين في الأصحاحين الأولين بأسلوبين مختلفين الأمر الذي يدل على أنهما أخذا من مصدرين مختلفين .

هذا من حيث نزول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى . وما نسبت إليه إلا لأنه كان زعيم القوم الأكبر الذي قادهم من أرض مصر في برية سينا نحو ٤٠ سنة إلى أرض كنعان حيث كان يحثهم بأسلاب الكنعانيين وبطردهم من بلادهم وامتلاك أرضهم وماشيتهم وأثاثهم كما علّم الاسرائيليات قبل الخروج من مصر أن يستلفوا حليّ المصريات قبل الهرب . كذا كانت تعاليم موسى لشعبه — أنه يحل لهم مال كل أجنبي عنهم لأنهم شعب الله الخاص حسب تعليمه .

أما أن اليهود ورثة فلسطين فمسألة لا تحتاج إلى كثير تحقيق فإن مجموع ما أقامه اليهود في المنطقة التي كانت قديماً تسمى فلسطين (وهي القسم الغربي من جنوبي فلسطين الحديثة) لم يزد عن ثلاثة قرون . وفيما سوى ذلك كانوا مشردين في الشرق والغرب بسبب فتوحات الدول المحيطة بهم من كل ناحية . وقد هاجر بعضهم عن طريق آسيا الصغرى إلى أوروبا وبعضهم هاجروا عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى نواح مختلفة . وتغلغلوا في أوروبا التي كانت في تلك الأزمان وثنية تعبد الأصنام المنحوتة . فلما اختلطوا بأولئك الأقوام وعرّفوهم بديانتهم رأى عقلاء الوثنيين وحكاؤهم أن ديانة اليهود معقولة أكثر جداً من ديانتهم لأنهم فهموا أن إله اليهود شخصية حية غير منظورة وليس صنماً منحوتاً من جمادهم ينحتونه . فتهوّد كثير منهم في جميع أنحاء أوروبا وغربي آسيا . ولما جاءت النصرانية اكتسحت الوثنية ولم تكتسح اليهودية اكتساحاً مطلقاً لأنها مستندة إلى نبوآتها .

فجميع اليهود الذين في أوروبا وغربي آسيا هم من السلالات الآرية وليس فيهم قطرة من السلالات السامية . هم آريون أكثر من هتلر وكان بولس الرسول مؤسس النصرانية يهودياً إغريقياً من أثينا . يدل على آريتهم بياض بشرتهم الناصع وصفرة شعورهم وزرقة عيونهم خلافاً للساميين المتازين بسمرتهم وسواد أحداقهم وسواد شعورهم . فما يهود أوروبا من ورثة فلسطين بتاتاً .

أما ورثة فلسطين القديمة والحديثة الحقيقيون فهم سكانها الحاليون الذين كان بعضهم يهوداً والكنعانيون والحيثيون والجزريون والفلسطينيون القدماء والصيدونيون وغيرهم من عبدة البعل ، فلما جاءت النصرانية تنصر معظمهم من يهود ووثنيين . ثم جاء الاسلام فأسلم معظمهم واستمروا كلهم . هؤلاء القيمون الآن في فلسطين الحديثة هم أهلها وورثتها . وأما اليهود المهاجرون من أوروبا وغيرها إلى فلسطين الكبرى التي نشأت من بعد الحرب الكبرى الماضية فليس لهم قلامة ظفر فيها . هم غرباء عنها ودخلاء فيها .

وقد استدل علماء اليهود من التوراة والتلمود أنهم لا يمكن أن يرجعوا إلى أرض آبائهم ما لم يجدوا تابوت العهد المفقود . ذلك أنه لما غزا نبوخذ ناصر أورشليم أسرع أشعيا وأخذ جميع محتويات الهيكل وخبأها في بعض مغاور جبل نبو جنوبي أورشليم وكان تابوت العهد أهم تلك الكنوز لأنه يحتوي على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله أو بالأحرى يهوه رب الجنود (كما تسميه التوراة) وصاياه العشر بأصبعه .

ولذلك جاءت بعثة أثرية يهودية من أميركا بعد الحرب السابقة إلى فلسطين وجعلت تنقب في مغاور جبال بنو عسى أن تعثر على تابوت العهد الذي لو وجدوه لكان أعظم أثر تاريخي . ولكنهم بعد تنقيب طويل شاق لم يجدوه فيئسوا وعادوا بخفي حنين . لذلك لا يحق لهم أن يعودوا إلى أورشليم لأنهم لم يحققوا وعد التلمود أو التوراة . ولن يعودوا .

ليتهم وجدوا ذلك التابوت لكنا نتمتع برؤية خط الله على اللوحين الحجريين وآثار أصبعه الكريمة ... وكنا نعرف بأي حرف كان الله يكتب .. وأية لغة كان يهوه رب الجنود يكلم موسى أبالعبرية كما يدعي اليهود أم بالسريانية كما يدعي بعض النصارى — حقاً إنه لأثر تاريخي عظيم . لو وجد !

نقولا الحداد

في العراق الشقيق

للأستاذ محمد هاشم عطية
أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين العالية ببغداد

لا شك أن معظم المصريين لا يعرفون شيئاً يذكر عن التقدم الاجتماعي في هذه البلاد الشقيقة التي استطاعت في مدى قصير من الزمن أن تصل إلى درجة من النهوض لا ينبغي الاقتصار في تقدير قيمتها على ما ينشره بعض الصحف المصرية من التعليقات التي لا تكاد تعبر عن الحقيقة الراهنة لما أصبح يتمتع به ذلك القطر الشقيق من نمو متواصل في أكثر مرافق الحياة ولقد كنت منذ عدة سنين أتوق إلى زيارة العراق رغبة في الوقوف على ما عسى أن يكون باقياً من آثارها التي طالما قرأنا عنها في كتب الأوائل خلال تلك العهود الزاهرة من خلافة العباسيين في بغداد ومن المحقق أن كثيراً من الكتاب والمؤلفين في مصر وغيرها من البلاد العربية مدين إلى حد غير قليل لما أخرجته المطابع في مستهل هذا القرن من ذخائر العربية ونفائسها في الأدب والشعر لمؤلفين وشعراء عاشوا في بغداد وغيرها من المدن العراقية في تلك الأزمان البعيدة وأن أساتذة هذه الدرسة القديمة كانوا أئمة العالم الحديث في البلاد العربية وحتى في غيرها من البلاد المتمدنة في أوقات مختلفة، ومن هنا كان ما تصنعه العراق اليوم من رغبتها في الاستعانة بمصر واستقدامها لكثير من كبار الأساتذة المصريين لتنظيم نهضتها الثقافية على نحو ملائم لما يتبع من المناهج والأساليب الدراسية في مصر هو بمثابة استقضائها لدين قديم للسلف من أبنائها في أعناق مصر الحديثة وغيرها من بلاد الشرق العربي ومن الظواهر البارزة التي تشاهد دائما في الأوساط الراقية والمجتمعات المختلفة ما يبديه العراقيون من حبهم لمصر وشدة تعلقهم بمحاكاتها في كل ما بلغته من أسباب النظام والتقدم. ولا تكاد تختلف مناهج الدراسة العالية والتوسطة عن أمثالها في مصر إلا في بعض مسائل خاصة بما تقتضيه حالة الإقليم من ناحية القوانين الضرورية للبلاد وأكثر الكتب المقررة للدراسة الثانوية والتوسطة هناك مقتبسة من الكتب المقررة في المدارس المصرية أو مشابهة لها ولا تختلف عنها إلا في العناية بتدريس تاريخ العراق القديم وأدبها الحديث الذي يمتد من الوقت الحاضر إلى نحو ثلثمائة سنة أما المدارس والمعاهد العالية من الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة ودور المعلمين العالية والمتوسطة فيشترك فيها الطلبة والطالبات غالباً وعليها إقبال شديد أدى في العام الماضي إلى استقالة عميد إحدى الكليات لعجزه عن مقاومة الضغط الشديد على كليته وتحققه من عدم كفاية بنايات الكلية على سعتها لمواجهة هذه الحالة بما يضمن انتظام سير العمل في الكلية وفي هذا العام سيضمون مشروع الجامعة العراقية موضع التنفيذ وإن كان العمل جارياً في المعاهد الفنية والكليات العالية على غرار الأنظمة الجامعية على السواء ويلاحظ أن الطلاب والطالبات يهتمون بالتحصيل والمذاكرة من أول أيام الدراسة ولا يشغلهم في الغالب عن ذلك شيء فليس لهم موسم للمذاكرة يبدأ في شهر أبريل على أحسن التقديرات، ولذا يظن أن نهضتهم الثقافية ستبكر كثيراً عن الموعد المنتظر لها ومما هو جدير بالذكر أن القوانين العراقية تحرم على الأجانب بلا استثناء أن يتمتعوا بالإقامة الدائمة في البلاد ولذلك لا تكاد تمتر في الأراضي العراقية بصقلبي ولا رومي من أولئك الأشتات والأجناس المختلفة وهي بالضرورة تحرم على كل أجنبي أن يتملك شبراً من أرض عراقية ولا يسمحون لرءوس الأموال الأجنبية أن تغزو بلادهم ويرون أن تسير نهضتهم الاجتماعية معتمدة على كفاياتهم الخاصة ومقدرتهم الحاضرة متريثة بطيئة تنضج مع الزمن خير من أن تتحكم فيها الأيدي الأجنبية برءوس أموالها التي يعتبرون دخولها إلى بلادهم تنازلا تدريجياً عن التحكم في مواردهم وثروتهم والقضاء على كل مشروع من شأنه ترقية مرافق الدولة وإعدادها لحياة طليقة من سيطرة الأجنبي كما هو الشأن في غير العراق من الأقطار الكبرى في البلاد الشرقية

ولقد شاهدت أن العراقيين يشعرون شعوراً تاماً بشدة الحاجة إلى رفع مستوى الحياة العامة في بلادهم فهم مع إبائهم وما يتمتعون به من الشمائل البدوية كالكرم والشجاعة لا يرفضون الاستجابة لدعاء المصلحين من قادتهم وزعمائهم ولا يحاولون أن يفتروا

بالماضي أو يزهون بالألقاب ولا يعتمدون في تدبير أمورهم على الإجراءات المطولة المعقدة من تأليف اللجان واستقدام الخبراء العالميين لكل ما دق أو جل من الأمور وإن كانوا لا يحجمون في الوقت نفسه عن الاستفادة من المدنيات المختلفة واقتباس الوسائل النافعة في تسوية مشاكلهم المهمة ومشروعاتهم الكبيرة مما يجرى عليه العمل في مصر وغيرها من بلاد أوروبا وأمريكا ولقد نبهتهم معالي الأستاذ رضا الشبيبي من كبار رجالهم ومصلحيهم في مقال له إلى الطريقة المتبعة عندهم في إحصاء السكان وأنها غير دقيقة ولا كفيلة بجباية خراج الدولة في وقت اشتدت حاجتها فيه إلى المال ويستوجب العمل من جميع طبقات الشعب على تزويد خزانة الحكومة بالأموال مساعدة لها على النهوض بما تضطلع به من الأعباء وفي اليوم التالي مباشرة ظهر في الصحف بلاغ من الحكومة بأنها ستوفد قريباً بعثة إلى مصر للتخصص في عملية الإحصاء ودراسة أحدث الأساليب المتبعة في ذلك

وسمعت من السيد هاشم الألوسي المدير العام للتعليم الابتدائي أن وزارة المعارف تعد مساكن صغيرة مستوفية لجميع الشرائط الصحية للمدرسين الذين لا يجدون في القرى البعيدة مساكن منظمة وأنهم يعنون أشد العناية بصحة أولئك المعلمين والطلاب ووضع جميع التدابير لوقايتهم من آفتين تتفشيان غالباً في تلك الأماكن النائية .

وهناك ظاهرة اجتماعية تستحق التنويه وهي ما يسمونه عندهم بالقبول وهو عبارة عما يتبادلونه بينهم من التزاور والسمر في المنازل في أيام الأسبوع في أكثر البيوت الكبيرة في الغداة أو في العشي على حسب المألوف من عادتهم في ذلك ، وكثيراً ما شهدت غداة الجمعة في دار صاحب المعالي صبحي الدفتري أحد عظمائهم وهي تضم طائفة كبيرة من رجالات العراق وأدبائهم ومشايخهم يقضون وقتاً طويلا في الحديث والمطارحة مع أدب تناول ورقة حاشية وحفاوة مضيف ويمثلون في ذلك أرقى ما يتطلبه المجتمع المتمدن من مظاهر الاحترام والذوق وكذلك الحال في كثير من البيوتات الأخرى كدار الصدر والشبيبي وجميل المدفعي والشواف وغيرهم مما كان يوجد مثله في القاهرة منذ نحو ثلاثين سنة في دار آل سليمان وعبد الرازق وكانت هذه المجالس أشبه بالمدارس العالية لتخريج المواهب وتلقيح العقول بثمرات التجاريب كما هي الآن في بغداد .

ولقد مكنني صديقي الأديب الكبير والشاعر الموهوب السيد حسين بستانه وهو أحد الأساتذة الذين تخرجوا في دار العلوم العالية في مصر وينهضون الآن بأعباء تدل على مبلغ ما لديهم من الكفاية والثقة مكنني ذلك الصديق الذي لا أنسى ما حييت فضله وأدبه ووفاءه من زيارة المشاهد المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء في رحلة ممتعة سأفرد لها مقالا آخر إن شاء الله تعالى

ولا يمنعني ذلك من القول بأنه ستمر فترة غير قصيرة إلى أن تتخلص بغداد الجديدة مما يتخلل بنيانها في كثير من الأحياء من الكهوف الغامضة والدروب الضيقة التي لا تخلو من أقذار متراكمة ومسارب عفنة لا يخفى ما لها من الآثار الضرة بالصحة العامة بين سكان العاصمة العراقية وخاصة في أيام الصيف حين يشتد القيظ وتتصاعد الروائح الكريهة من هذه الأزقة ودورات المياه التي لا تزال في حالة بدائية لا يمكن التخلص منها إلا بإنشاء مشروع المجاري على نحو ما هو متبع من ذلك في القاهرة وغيرها من المدن الكبرى في البلاد المتمدنة مع العناية باستخدام الأجهزة الحديثة الضرورية لصيانة المنازل والسكان من الأضرار المحققة من هذه الأوضاع الحالية لدورات المياه والمناسل وهي من ألزم الأشياء للحياة

ولا أستطيع أن أزعم أن الطبقات الفقيرة في مصر أحسن حالا منها في بغداد فهي متشابهة في رثاثة الثياب ووسخ الجلود وفيما يختلف على كل منهما من الجهل والفقر والمرض مما يحاربه الناس في القطرين بتمنيق القتال أكثر مما يحاربونه بالفعال

وفي الربيع الماضي زار الوفد السوداني مدينة بغداد وقد كانت هذه الزيارة فرصة جديدة أتاحت لنا أن نشعر من قريب بشدة حدب العراقيين على القضية المصرية وعطفهم على أماني إخوانهم المصريين ولقد لقي الوفد ورئيسه الوطني العظيم من الترحيب والحفاوة ما لا مزيد عليه من سمو الوصي المعظم ورجال الحكومة وطبقات الشعب على اختلافها وأقيمت لهم عدة مآدب وحفلات كان آخرها ما تم به الأساتذة المصريون الموظفون في الحكومة العراقية وقد ألقيت في هذه الحفلة القصيدة الآتية التي

يكون من المناسب نشرها الآن فى مصر على صفحات الرسالة الغراء وهذه هى القصيدة :

حىّ وفد السودان ياصاح بالشعر ... وجـدد لهم حِسان الأمانى
واسقنا شربة من النيل أحلى ... من رحيق معتق فى الدنان
هى من كوثر يصفقها الساقى ... شـفاء لمهجة الظمآن
فبأعلى الشطين ساجعة الأيك ... تناغى الأليف فى أسوان
وهى نشوى تقول مفصحة الشدو ... هتوفاً بأعـذب الألحان
نحن شعب فسائلوا النيل عنا ... كيف أفتوا بأننا شـعبان
واسألوا الدهر والقرون الخوالى ... فسيشهدون أننا أخوان
وحدة فى الحياة والدين والرأى ... وفضل الحجا وحسن البيان
قد بنتها طبيعة النيل صرحاً ... شامخ الفرع راسخ البنيان
لم يعبها أن قد أصاب مغير ... من شباها بحده والسنان
كان منها مكان ناطحة الصخر ... بقرن عضب ورأس هدان
فأقامت على الشناءة تنمى ... لا وناة ولا ذلول العنان
تمصف الحادثات من جانبيها ... فى الصفا الصم من ذرى ثهلان
أيها الرائع المجد رويداً ... إن لقيت الأعلام من كردفان
فأحبس الدمع أن يفيض من الشوق ... وخل الفـؤاد للخفقان
وتخطر فوق الأصيل نديا ... من نشر الربا وطيب المجانى
واقض حقاً لآل دنقلة الغراء ... واشك الهوى إلى الندمان
وابتغ الصحب فى الندى حلالا ... وانثر اللفظ سائغاً والمعانى
قل لأشياخهم وقل لشباب ... كعوالى أسنة المران
أننا مثـل ما عهدتم ولاء ... ووفاء ما أشرق الفرقدان
ليس منا من ليس يغضب أن يدعى ... لضيم أو يرتضى بالهوان
ترقب النجم أن يضىء سحيراً ... من أعالى النيلين حتى الأدانى
شارقاً بنشر البشائر بالوادى ... مهـلا بنوره للعيان
فى ظلال الفاروق والتاج يزهى ... باتحاد الإخوان بالإخوان
فى ذرى ملكه ومن هو كالفاروق ... فى عدله وفى السـلطان
قد حبتكم بغداد حين نزلتم ... فى حمى فيصل العظيم الشأن
والعراق الشقيق رحب بالوفد ... وحيا بقلبه واللسـان
ولعمرى لحبـة القلب أنتم ... ولأنتم إنسان عين الزمان
فهنيئاً لكم بما قد حبيتم ... ثقة الشعب وهى هذا الأوان
وعليكم من كل قلب سلام ... مثل نور الربيع فى نيسان

محمد هاشم عطية

رسائل حائرة :

الرســـالة الثانية . . .

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

[كتبت تقول : « لا أحب أن ألعب بالقلوب ؛ حتى لايلعب أحد بقلبي . » فإليها حديث القلب فى هذه القصيدة] :

هل تظنين أننى أتغنَّى ... أن أرى قلبك الرقيق مُعَنَّى ؟!
لا وحُبِّيك . ما تمنيت إلا ... فرحة تحتوى صباك وأمْنا
وربيعاً يمس قلبك بالحبِّ (م) فيمضى مرفرفاً يتغنى
يرسل اللحن فى أغانيه حبًّا ... ويذيع الهوى غناء ولحنا
أنا يا مُنْيتى بقلبك — لو تدْ ... رين حبى — أبر منك وأحنى
أنا أفديك يا حياتى بروحى ... وهى أسمى من الوجود وأسنى
أنا أهواك راضىَ النفس حتى ... لو يكون الهوى شقاء وحزنا !
كفراش يهفو إلى النار ظمآ ... ن ، وإن كان فى اللهيب سيفنى !
لا تخافى قلبى ؛ فما هو إلا ... طائر هزه الجمـال فغنَّى
عبر العمر تائهاً فى الصحارى ... ورأى واحة الغريب فحنَّا
لا تخافى حبى ؛ فحبىَ بذلٌ ... ووفاء ، وليس غدراً وضنّاً
واقبليه منى ؛ فحبك يسرى ... فىَّ مسرى الدماء ، أو هو أدنى
وافهمينى ، فلو فهمت شعورى ... ألَّف الحب بيننا حيث كنا
كلما برَّح السهاد بنفسى ... قلت : زدنى ! ودع فتاتىَ وسنى
وإذا قرح البكاء جفونى ... قلت : لا بلَّلَ البكا لكِ جفنا
وألاقيك يا شقيقة نفسى ... هادىء النفس ، وادعاً ، مطمئنا
وبقلبى — لو تعلمين — من الوجـ ... ـد تباريح لَفْحُها ما تأنى
وأرد الكلام خشية أن يبـ ... ـدر منه ما يكشف المستكنا
وأسميك فى الرسائل أختى ... وأنا أقصد الحبيبة ضِمْنا
يا حياتى إنى وضعت حياتى ... بين عينيك ضارعاً أتمنى
فاجعلينى كما تشائين إنى ... أنا أرضى به ، وأنْعَمْتِ عينا
اجعلينى فى الحب — إن شئت — حراً ... واجعلينى — إن شئت — فى الحب قِنّا
وارحمينى ، أو عذبينى ؛ فإنى ... قد رأيت العذاب للفن خِدْنا
حسبُ نفسى تجارب تملأ النفـ ... ـس حياة ، وتملأ العمر فنا
وكفانى أن أرسل الشعر من قلـ ... ـبى ، فيصغى الوجود قلباً وأذْنا
وسواء لدىَّ أصبحتُ قيساً ... قيسَ ليلى فى الحب أو قيسَ لُبنى

شيء من الصراحة

للأستاذ علي العماري

في عدد مضى من الرسالة كتب الأستاذ الفاضل الشيخ علي الطنطاوي مقالا بعنوان (مستقبل الأدب) تناول فيه بشيء من الحسرة والألم ضعف الطلاب في هذه الأيام ، ولاحظ أن بعض الذين على أبواب التخرج منهم لا يستطيعون أن يقرأوا أربعة سطور دون أن يخطئوا عشرة أخطاء ، وأن الألسنة غير مستقيمة ، وأن معين النبوغ جف أو كاد .

وأحب أن أقول للكاتب النابغة — في شيء من الحسرة والألم أيضاً — أن كل ذلك صحيح ، وأن الذي يعاني مهنة التعليم اليوم يجد ما يفتت الكبد ، ويبكي العيون ، ولكن لا يكفي أن نبكي على ما يهدد الأدب من تدهور وانحطاط ، بل لابد لنا أن نقدم — مخلصين — رأياً في علاج هذا الضعف ، ولا قدرة للطبيب على العلاج الناجع المفيد إلا إذا استطاع أن يشخص الداء ، ولكن كيف نقول فيما يعيث في مدارسنا ومعاهدنا ، وقد نشأنا على حب المداراة ، وستر العيوب ؟! إننا — إذن — في حاجة إلى شيء من الصراحة ، كما أنا في حاجة إلى من يأخذ عنا غير غاضب ولا متسخط ، ولقد عالج الأستاذ الفاضل مشكلتين : مشكلة ضعف الطلاب في القراءة ، ومشكلة الضعف العام في اللغة العربية ، وتكاد الأسباب تكون متداخلة ، غير أن للضعف في القراءة أسباباً خاصة

والذي نشاهده في معاهدنا ، ومدارسنا ، العالية ، والمتوسطة هو عدم العناية بدروس المطالعة ، وهذا الإهمال في درس المطالعة ليس مقصوراً على التلميذ ، بل هو إهمال عام ، فالإدارة والمدرس ، والتلميذ ، كلهم ينظرون إلى هذه المادة على أنها مادة إضافية ، ولا يزال قاراً في الأذهان أن درس المطالعة هو درس « اللعب ، والراحة » فنجد أن واضع الجدول يعطي هذه المادة لمدرس مادة أساسية ، كالنحو أو البلاغة ، وذلك لكي يستعين بها في إتمام دراسة مادته ، وأن المدرس لا يعنيه من هذا الدرس إلا أن يستعين به في مادته ، ولعل من أوضح الدلالة على الاستهانة بمادة المطالعة ، إنا لا نجد طالباً يرسب فيها في الامتحانات العامة كأن كل الطلاب يقرأون صحيحاً ، وأن المدرس الذي يعمد إلى إسقاط طالب بعد بين إخوانه وبين تلامذته من الثقلاء المتعجرفين ، ويصبح مادة للتندر والتفكه ، والتلميذ نفسه لا يكاد يحسب حساباً للامتحان في هذه المادة ، لما ألقاه الزمن في نفسه من أن النجاح فيها مضمون على كل حال ... وإذا رجعنا إلى الدراسة نفسها وجدنا الإهمال فيها ظاهراً ، فقليل من الطلاب بل أقل من القليل من يستحضر نسخة من الكتاب المقرر ، بل إن بعضهم يكون الكتاب في يده ولكنه يكسل عن فتحه والمراجعة فيه ، وكثير من المدرسين لا يزيدون في الدراسة عن القراءة العابرة — إذا قرأوا — ، وإني لأذكر أنه كان مقرراً في الكليات التي تدرس اللغة العربية كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب زهر الآداب للحصري ، ومقدمة ابن خلدون ، وأذكر مع ذلك أن ما قرئ من هذه الكتب لا يتجاوز مائة صفحة في أي سنة من السنوات ، وفي أي فرقة من الفرق ، وليس عجيباً بعد هذا أن نجد بعض المتخرجين لا يعرف شيئاً عن هذه الكتب إلا أنه حصل عليها من غير مقابل ، بل لقد رأيت واحداً يبيع كتاباً منها فسألته لم يبيعه ؟ فأجاب لأنه لا يفكر في أن يفتحه يوماً من الأيام ! وهو الآن من المعدودين عند السادة الرؤساء !

وإذا تجاوزنا القول في المطالعة إلى القول في المحفوظات وجدنا الأمر أدهى وأمر ، وذلك لأن في الطلاب انصرافاً غريباً عن الحفظ والاستظهار ، على أن من يحفظ منهم لا يحفظ راغباً مستلذاً من منثور العرب ومنظومهم ، وإنما يحفظ ليدخل الامتحان وكفى ! !

حتى هؤلاء الذين يحفظون للامتحان قلة ، وإنما الشأن في طلاب اليوم ترك الحفظ جملة وتفصيلا ، وليس بعجيب أن نجد طالباً في المرحلة الأخيرة من الأقسام الثانوية وهو لا يكاد يقرأ ثلاثة أبيات تباعا ، وإني لأعرف صديقاً ينظم الشعر ، وقد تخرج منذ سنوات وهو إلى الآن لا يستطيع أن ينشدك شيئاً من الشعر القديم ! !

وكثيراً ما نصادف — في الامتحان — بعض طلاب لا يحفظون شيئاً أبداً ، حتى إن بعض المتحنين يتندر بهم قائلاً ألا تحفظ شيئاً من المواليا أو الزجل ؟! كما لاحظت أن بعضاً

يحفظون قصيدة واحدة تظل معهم سنوات ينشدونها فى الامتحان كل عام ... ومع كل ذلك فلا تكاد تجد رسوباً فى هذه المادة أيضاً ، ومن الحق أن نذكر أن وزارة المعارف قررت كتباً لهذه المادة ، ولكن الحق أيضاً أن نذكر أن عدداً قليلا جداً من يعنى بالاستظهار والتفهم . .

وإن أكبر الضرر فى هذا السوء الذى نشاهده فى معاهد التعليم يرجع إلى اشتغال المتعلمين بالشئون العامة وإلى مصانعة الرؤساء لهم ، واعتمادهم عليهم فيما يحاولون من أمور ، فقد أصبح الطلاب يعتقدون أن فى يدهم الحل والعقد ، وأنهم يستطيعون أن يقيموا وأن يقعدوا ، وتراهم يتدخلون فيما يعنيهم وما لا يعنيهم

أنا لا أدعو بطبيعة الحال إلى إبعاد الطلاب عن القضايا الوطنية الكبرى ولكن أدعو إلى أن يعرفوا حدودهم ، ومدى ما ينبغى أن يتدخلوا فيه ، وأن يكون للرؤساء ضمائر ، وأعين بصيرة فلا يساعدونهم على الفوضى ؛ ولا يستغلونهم فى أغراضهم الشخصية ، ولا يجعلونهم كالجماهير التى يقول فيها شاعرنا شوقى

والجماهير مطايا المرتقى للمعالى وجسور العابرين

فإذا انتظم الطلاب فى دروسهم وجدوا دراسة مملة لا تفيد علماً ، ولا تنتج أدباً ، وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة (مودة) جديدة كانت أضر على العلم من كل ما منى به ، فقد لجأ أكثر المدرسين إلى تلخيص الكتب ، وما على المتعلم بعد ذلك إلا أن يحفظ هذه القواعد القليلة حتى يجوز الامتحان ، وكفى الله المؤمنين القتال . تلك حال نشاهدها فى الأزهر ونشاهدها فى وزارة المعارف ، ونشاهدها فى المدارس العالية ، والكليات .

فى المدارس الثانوية كتب لا بأس بها فى البلاغة العربية ولكن أكثر المدرسين لا يدرسون هذه الكتب ، بل يعطون تلاميذهم ملخصات فى كراسات يحفظونها ولا يتذوقون شيئاً من دراسة البلاغة ، وفى مدرسة عالية همها تخريج مدرسين للغة العربية يترك الطلاب كتاب الأشمونى ليقرءوا ملخصاً له وضعه أحد الأساتذة كأنهم فى مدرسة ابتدائية ثم هم يمتحنون فى هذا المختصر ، وليس الشأن فى الأزهر بأحسن من هذا فقد هجر الطلاب الشروح والحواشى واعتمدوا على المختصرات ، لينعموا بما فيها من ورق أبيض صقيل ، ومن اختصار يساعد على الحفظ وعلى الامتحان .

نعم إن بعض الكتب فى حاجة إلى التهذيب والتنقيح ، ولكنه ليس هذا التهذيب الذى يخرجنا من شر ليوقعنا فى شرور ، وليس أجدى على اللسان من هذه الدراسة المتعمقة ، وإن احتاجت إلى كثير من الجهد والوقت .

ولقد دلتنى مشاهداتى على أن للدروس الخصوصية أثراً بالغاً فى ضعف التلاميذ ، فقد أصبح مفهوماً عند أولياء الأمور أن التعاقد على درس خصوصى معناه التعاقد على نجاح التلميذ ، ولعل من الطريف أن أذكر أنى كنت مع أحد المدرسين فى المدارس الابتدائية يوماً فجاءه تلميذ يساومه على درس فقال الأستاذ للتلميذ: قل لأبيك أنى لا أضمن نجاحك ثم عد ، فخرج التلميذ وقال لأبيه، ولكنه لم يعد ! !

ومع هذا الضعف الظاهر فى اللغة العربية نجد أن النتائج فيها حسنة ، حتى أصبح التلاميذ لا يرهبون الامتحان فيها ، وبالتالى لا يعطونها العناية الكافية ، وإذا تطرقنا إلى الامتحانات فإننا نذكر — مع المرارة العميقة — أنها فقدت رهبتها فى بعض دور التعليم ، وكيف لا ؛ والنتيجة فى بعضها — مع هذه الفوضى — تبلغ ثمانين فى المائة ؟

أما دراسة اللغات الأجنبية فى المدارس فتنال أكبر قسط من العناية ، ولا شك أن هذا سبب ظاهر فى ضعف التلاميذ فى اللغة العربية

فليس عجيباً بعد كل هذا أن نرى المتخرجين ضعافاً ، لا يكادون يقيمون ألسنتهم وأن نفقد فيهم النبوغ والعبقرية ، وأن ننادى أولياء الأمور بأن الإصلاح فى أيديهم وهم عليه قادرون، وأن الدعوى بأن اللغة العربية عسيرة تحتاج إلى تسهيل ، ومعقدة تحتاج إلى تيسير ، إنما هو هروب من الحقائق الدامغة التى لا يجهلها أحد ممن يتصلون بشئون التعليم

لتكن العناية بدروس المطالعة مع المدرس والتلميذ وليكن الإشراف عليها إشرافاً صحيحاً حازماً ، ولتمط ما هى جديرة به بين العلوم من جهد ووقت ورعاية ، وليفهم كل تلميذ أن أول واجب عليه أن يقرأ قراءة مستقيمة، وأن اللغة العربية هى مجده ومجد آبائه ، وليلزم التلاميذ فى كل معاهد التعليم بقسط كبير من مأثور العرب يحفظه فى كل عام ، ويمتحن فيه ، ويسأل التلميذ فى الفرق العالية عما فى محفوظه من أسرار بلاغية ، ومزايا أدبية . .

حول جدل فى الجامعة

قرأت اليوم وأنا بريف الشرقية حديثاً للأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان « جدل فى الجامعة »

ولما كان هذا الحديث يخصنى لأنه يدور حول رسالة قدمتها كتبت هذا إليكم رجاء التفضل بنشر هذه الكلمة ليقف القراء على جلية الأمر وليعرفوا الخطأ من الصواب .

وقبل أن أبدأ الحديث ألفت الذهن إلى أنه ليس من الحق فى شيء أن الأستاذ أحمد أمين قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها ولا لإنكار ما فيها من حقائق علمية ، ولقد كان كل ما صنعه أن لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

يتلخص موقف الأستاذ أحمد أمين فى هذه المسألة وهو فى هذه يعتبر متضامناً مع الأستاذ الشايب ومن هنا يكون حديثى مع واحد منهما حديثاً مع الآخر .

وإذا كان الذى يهم الجمهور من هذه المسألة هى المسألة الدينية فقد قصرت حديثى عليها ليرى القراء أن ما قلته فى الرسالة هو الذى يتفق مع الدين ويجرى ومقاصده .

وأحب أن يعلم القراء أنى قد التزمت فى هذه الرسالة أمرين

الأول : — ألا أثبت حقيقة ينكرها الدين وسجلت ذلك فى الرسالة حيث قلت فى ص ٢١ ما نصه ،[وأعتقد أن من حقنا أن نقف وقفة قصيرة نشرح فيها هذه العلاقات لنقدر ما فى القرآن من معان تاريخية تقديراً لا ينكره الدين] انتهى بنصه .

الثانى : — أنى التزمت فى استنباط ظواهر القصص القرآنى طريقة الاستقراء ومن هنا كانت كل حقيقة أدبية أثبتها مستمدة من القرآن الكريم . ولقد سجلت ذلك أيضاً على نفسى حيث قلت فى الرسالة ص ٢٣ « والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآنى لنبحث ما فى قصصه من أشياء تاريخية . وقبل البدء ننظر فى اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات فى القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التى تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد

على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن فى شيء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته فى الخلق والابتكار ولن يقرر ما فى القرآن من قيم إلا واقع أدبى التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملى »

وعلى هذين لا يتصور متصور أن يكون القصد من الرسالة الخروج على الدين أو القول بما ينكره .

ولقد قلت فى الرسالة إن قصد القرآن من قصصه لم يكن إلا العبرة والعظة وليس منه مطلقاً تعليم التاريخ أو شرح حقائقه ومن المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن .

على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام ، وقد نقله عنه صاحب المنار فى مواطن كثيرة من كتابه فقد جاء فى الجزء التاسع ص ٣٧٤ طبع سنة ١٣٤٢ ﻫ ما يأتى « إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومدائن ولا تحقيق وقائع ومواقع »

وجاء فى الجزء الثانى ص ٥٠٠ طبع سنة ١٣٥٠ ﻫ ما يأتى « فإن قيل إن التاريخ من العلوم التى يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحى فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية فى القرآن وكانت فى التوراة أكثر ؟

والجواب ليس فى القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها ، وإنما هى الآيات

وعلى الرؤساء أن يواجهوا الأمور بصرامة وحزم فيأخذوا البرى بالمجرم حتى تستقيم قناة الجميع ، ولا نكون متعنتين إذا طالبنا وزارة المعارف بأن تحرم الدروس الخصوصية على كل مدرسيها مهما كانت الأسباب الداعية لذلك ، كما تطالب المدرسين بأن يدرسوا الكتب المقررة ، وأن يزيدوا عليها ، وأن يدعوا هذا التهوين من شأن اللغة العربية وآدابها . . . حينئذ نقف فى أول الطريق لنمضى إلى الغاية ، وسنبلغ الهدف إن أخلصنا لواجبنا ، وراعينا حق الله والوطن واللغة في هؤلاء الأبناء .

علي العماري

المدرس بالأزهر

والعبر تجلت فى سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به (وسترى ذلك فى محله إن شاء الله تعالى) ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها » انتهى بنصه .

على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه . ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف .

أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع .

وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام وهذا هو نص المنار فى وصف هذه الطريقة عند تفسيره لقصة آدم من سورة البقرة .

« وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه إن القرآن كثيراً ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعانى » ص ٢٨٠ ج ١ طبع سنة ١٣٤٦ هـ

ويمضى صاحب المنار فى شرح هذه الحقيقة إلى أن يقول : قال الأستاذ الإمام ما مثاله . وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا . إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه . الخ القول إذاً بأن بعض القصص القرآنى قصص جيء بها لتمثيل المعانى قول معروف لدى رجال الدين وطريقة معروفة لدى المفسرين ، وجرى عليها إمام من أئمة الدين هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

جريت أنا على هذه الطريقة يدفعنى إليها غرض دينى هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين . وتفسير المسألة يرجع إلى أن هؤلاء يبحثون عن العلاقة بين القصص القرآنى والتاريخ اتفاقاً واختلافاً وينتهون من ذلك إلى أن فى القرآن أخطاء تاريخية .

أما موقفى فيتلخص فى أن الدراسة على هذا الأساس خاطئة لأن القصص القرآنى لا يدرس على أساس أنه قد جاء لتعليم التاريخ أو شرح حقائقه وذلك حيث قلت فى ص ٥ [كما نجد المستشرقين يلجون من نفس الباب فيطعنون على النبى والقرآن حين يوردون بعض الإعتراضات وحين يذهبون فى فهم القصص القرآنى مذهب أصحاب التاريخ فيبتعدون بذلك عن المذهب الحق فى فهمه وهو أنه قصص وقصص دينى يقصد منه غير ما يقصد من التاريخ .] مذهب الأستاذ إذا هو الذى يجنبنا كل هذه الأشياء ومن أجل هذا اعتمدته وجريت عليه .

ومن أجل هذا قد ينال القارىء العجب من أن يقف الأستاذان منى هذا الموقف . لكن للمسألة سراً قد يتضح لدى القارىء بعد قليل .

وتبقى بعد ذلك مسألة الأساطير .

وهى مسألة حلها القدماء من المفسرين وهو حل يجرى مع ما يقول به الأستاذ الإمام فى تفسير القصص القرآنى .

لقد فهم الرازى ما يقول به المحدثون من الأدباء من أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لما تمثله من المعانى وتدعو إليه من الأغراض وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) من سورة يونس إذ قال [واعلم أن هذا الكلام يحتمل وجوها الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها] .

وهنا نحب أن نلفت الذهن إلى أن القرآن يعنى من الأسطورة القصة التى لم ترد فى الكتب السماوية السابقة عليه وليست بحال من الأحوال القصة التى لا أصل لها ولا القصة المخترعة ومن أجل هذا كانوا يقولون أساطير الأولين اكتتبها . أن لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .

على أن المسألة كما وضحت فى الرسالة تتفق وما قال به علماء أصول الفقه .

قال هؤلاء بأن فى الأديان السماوية عناصر خالدة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمناسبات وهذه هى التى بقيت فى الإسلام . وفيها عناصر تتغير بتغير الظروف والبيئات وهى التى خالف فيها القرآن غيره من الديانات .

وقلت بأن المسألة الأدبية تجرى على هذا الأساس . عناصر

مدى الثقة في هيئة الأمم المتحدة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وقامت الكتلة الشرقية بدورها بتطبيق مبادىء الميثاق خير تطبيق حين عرضت مسألة مصر وذكرت الكتلة الغربية بقولها السابق في مسألة إيران والذي يبدو أنها نسيته . ولعل القارىء يتساءل: لم عارضت الكتلة الغربية مطالب مصر مع وضوحها واتفاقها مع نصوص الميثاق . والجواب عن ذلك هو الخشية من ترك فراغ في مصر قد يمتد إليه النفوذ الروسي الزاحف إلى البحر الأبيض المتوسط. وفي سبيل ذلك يضحي بالميثاق وترفض مطالب مصر العادلة . . وهذا أمر مؤسف حقاً يذكرنا تماماً بما كان يسود القرن التاسع عشر من سياسة توازن القوى ومناطق النفوذ . . . تلك السياسة الخرقاء التي سببت الحروب المتتالية والتي يخيل إلينا أنها ستكون سبباً لحرب ذرية في المستقبل .

ويمكننا ملاحظة الظاهرة المتقدمة في مسألة أندونيسيا ، فقد صرح أحد السياسيين من الكتلة الغربية بأن السبب في معارضة أمريكا وانجلترا لمطالب أندونيسيا هو الخوف من تفشي روح القومية إذ المعتقد أن سكان المستعمرات — إذا ما استقلوا — لا يستطيعون دفع تيار الشيوعية وحدهم .

وكذا الأمر في مسألة اليونان . فالمعروف أن الكتلتين تتصارعان هناك بشكل واضح سافر . والإضرار والمشاكل التي تنتج من هذا التنافس يقع عبؤها كله على كاهل الأمة اليونانية المسكينة التي راحت تتمزق وتأكل بعضها بينما غيرها يتميز ليبتلعها . والعلاج في نظرنا هو أن تترك هذه الأمة مرة لا تعبث بها واحدة من الكتلتين ويقيننا أنها ستلم ما تبعثر منها ، وتنهض فتضمد جراحها وتزيل ما كان على بصرها من غشاوة مصطنعة ثم تمضي حرة لتقرر مصيرها بنفسها . ثم إن المرء ليتساءل عن مصير معاهدات الصلح ، فالحرب قد وضعت أوزارها منذ زمن طويل والصلح لم يعقد بعد :. أليس هذا مما يرثى له ؟ إن العجب في هذه الأعجوبة يزول حتما إذا ما أرجعنا العلة إلى هذا التنازع البغيض بين الكتلتين فحكومات الدول المهزومة لابد أن تكون على شكل معين حتى ترضى كلا من الطرفين ومستحيل أن يكون أساس كل من النظامين جد مختلف عن الآخر ثم يتفقان على أمر معين .

وقد عرفنا الآن أن سياسة توازن القوى ما زالت باقية في ميدان السياسة الدولية وأنها مازالت تنفث سمها القاتل في نواحي المعمورة مما يجعلنا نخش على هيئة الأمم من سريانه فيها فلا يتركها إلا جثة هامدة .. وبذلك تذهب كما ذهبت عصبة الأمم من قبل دليلا صارخاً على غباء البشرية وتأخرها في فهم المعاني الإنسانية

خالدة ثابتة كالأشخاص والأحداث وهذه قد بقيت في القصص القرآني كما كانت في قصص غيره من الكتب السماوية .

وعناصر يجوز عليها التغيير والتبديل كالمسائل التي يدور حولها الحوار .

وهذا هو الأمر الواضح تماماً من صنيع القرآن .

وأعتقد أن الأمر الذي وقع في الدين ليس من الغريب أن يقع مثله في القرآن .

هذه هي نظريتي في القصص وهي نظرية تعتمد على طريقة الخلف ومذهب الأستاذ الإمام .

وهذه هي نظريتي في الأساطير وهي تتفق وما ذهب إليه الرازي وتجري مع مذهب الأستاذ الإمام والمذهب الأدبي في أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير . ثم هي على التفسير الذي جرينا عليه تشبه إلى حد كبير التفسير الذي جرى عليه الفقهاء فيما يخص الأديان .

وليس من الحق في شيء أن نجيز في الدين ما لا نجيزه في الأدب مع أنه الأمر الذي قال به المفسرون وجروا عليه في تفسير القرآن .

المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات فأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة.

وإذا كان الأستاذ الخولي قد رفض رسالة الأستاذ المحاسني فيجب أن ترفض رسالة خلف الله .

هذه بعض مسائل الرسالة نشرتها لأنها تهم القراء أما ما بقي فستعلمونه في القريب العاجل إن شاء الله .

محمد أحمد خلف الله

إن سياسة توازن القوى هى سياسة الأقوياء من الدول وليس من الإنصاف أن تلقى وزر الكارثة كلها على عاتق هذه الدول بل إن للدول الصغيرة أيضاً نصيبها فى ذلك وهو ما نسميه : سياسة التهاون أو عدم الاكتراث — وهو العامل الثانى الذى أشرنا إليه فى بدء الحديث .

إن كل دولة عضو فى هيئة الأمم لابد أن تحترم الميثاق وإن وجودها كعضو شاهد عليها بوجوب الرضوخ التام لأحكامها . ولكن الشواهد تدل كلها على عكس ذلك تماماً .

فنى الشكوى التى تقدمت بها حكومة الهند إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تهم فيها حكومة جنوب أفريقيا بمعاملة الرعايا الهنود معاملة تقوم على التفريق بين الأجناس وحرمانهم من التمتع بالحقوق المدنية والعامة . . دافع الرشال سمطس هذه التهمة عن حكومته بأن المسألة المعروضة تدخل فى الاختصاص الداخلى لكل دولة ، ومن ثم فلا اختصاص للجمعية العامة فى هذا الشأن وفقاً للمادة الثانية فى فقرتها السابعة وبذلك غلب الناحية القانونية على الناحية السياسية وطلب إحالة الأمر للفصل فيه إلى محكمة العدل الدولية . غير أن وجهة نظره لم تقبل داخل الجمعية . ذلك أن مندوبى الدول قد غلبوا الناحية السياسية على الناحية القانونية وأصدروا توصية لرفع القيود ومعاملة الهنود معاملة لا تقوم على التفريق . ولكن هل نفذت هذه التوصية ؟

إن من المؤسف حقاً أن يكون المارشال سمطس هو الذى كتب بيده ديباجة الميثاق التى تعتز بكرامة الأفراد وأقدارهم وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء على السواء .. ثم يكون هو أول الهادمين لها ! .

ولكن أسفنا يبلغ أوجه حين نعلم أن توصية الجمعية العامة لم تنفذ هى أيضاً ! وليس لهذا الأمر الخطير من سبب سوى التهاون وعدم الاكتراث بالميثاق والهيئة معاً .

على أن فى مسألة الشقيقة أندونيسيا مثلا واضحاً لهذا الهوان الذى يلاحق الميثاق . وقد أصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال ولكن هولندا لم تذعن للمرة الأولى . فأصدر قراراً ثانياً . ولكن هيهات وما زال العالم ينتظر قراره الثالث . فما أبخسها من أوامر

ومهما كان الرأى فلن تكون سياسة التهاون وعدم الاكتراث هذه هى الأولى أو الأخيرة فى نوعها . بل إن سوابقها جلية فى عصبة الأمم السابقة . إذ أن إيطاليا قد ضربت عرض الحائط بميثاق العصبة واعتدت على اثيوبيا أشنع اعتداء وكان اعتداؤها بمثابة مسمار يدق فى نعش العصبة التى تهاون أعضاؤها بدورهم فى تطبيق الجزاءات الاقتصادية والسياسية المنصوص عليها . ولقد انسحبت إيطاليا وألمانيا إثر ذلك وكونتا ما سمى فى الحرب الأخيرة بدول المحور .

إننا نخشى أن يعاد تمثيل هذه الهزلة مرة أخرى فتنسحب بعض الدول من هيئة الأمم لسببين لا ثالث لهما : إما أن تكون دولا قوية تحس بأن الميثاق قيد يحد من أطماعها وهو لا يعدو أن يكون قيداً معنوياً ليس له القوة المادية التى تحسب لها ألف حساب

فلم لا تفلت إذن من هذا القيد الأجوف الواهى ؟ . ولم لا تحطمه إن أبدى مقاومة ؟

وإما أن تكون دولا ضعيفة خاب ظنها فى عالم سعيد بجانب الميثاق فلم تجد بجانبه أمناً أو استقراراً بل أصابها ظلم وجور . . فأرادت أن تنطوى على نفسها وأن تعيش فى عالمها وحدها كى ينأى بنفسه عن جيرة السوء وصحبة الأشرار .

ولقد تردد فى بعض الآونة أن مصر تريد أن تنسحب من الهيئة إن لم تقدر مطالبها حق قدرها .. وحق الانسحاب لم يمنع منعاً باتاً بل سار فى ميثاق الهيئة « رخصة » لا تستعمل إلا فى حدود معينة وعند قيام المسوغ لذلك ، وقد كان هذا الحق مطلقاً كل الإطلاق فى عصبة الأمم ومن مسوغات حق الانسحاب التى أوضحها مؤتمر سان فرنسيسكو ما يلى .

« إنه إذا أحست دولة من الدول فى ظروف استثنائية ألا مناص لها من الانسحاب وإلقاء عبء حفظ السلم والأمن الدولى على عاتق الأعضاء الآخرين فليس مما يدخل فى أغراض الهيئة أن ترغم مثل هذه الدولة على الاستمرار فى هذا التعاون فى داخل الهيئة ومن البدهى أنه لا مناص من انسحاب الدول بعضها إثر بعض أو من حل الهيئة بأية صورة أخرى إذا هى انتهى أمرها بأن خيبت آمال الإنسانية بأن تكون قد عجزت عن حفظ السلام أو بأن كان حفظها للسلام على حساب القانون والعدل »

ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال أن أشير إلى نواحى نقص أخرى فى الميثاق ولها أهمية عظمى تتعلق بحق الاعتراض (الفيتو) وبوليس الأمن الدولى . وقد تساعدنا الظروف فنتناولها بالبحث فى مقال آخر إن شاء الله تعالى .

عبد الحميد عثمان عبد المجيد

٣ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

في جنح الليـــــل !

للأســـتاذ عبد الحفيظ أبو السعود

ألقت بنا الباخرة إلى مرفأ عنيبة ، وسط ضجيج الحمالين ، وصيحات الركاب ، وضوضاء البحارة ، الذين شرعوا بمساعدة الحمالين ينزلون أمتعتنا ، وأمتعة فضيلة قاضي عنيبة المنقول من إسنا إلى هذه البلدة النائية ، والبضائع الكثيرة المرسلة إلى المدرسة من خضر ، وفاكهة ، وبعض العُلب والصفائح المليئة بالسلى وغيره ، مما لا يكاد يوجد منه شيء في عنيبة ، ويجلبه المتعهدون من أسوان وغيرها من بلاد الصعيد الوفيرة الخيرات ..

ولم نجد في الحمالين شهامة ونجدة ، ونشاطاً وإسراعاً إلينا ، كما نجد هذا في حمالي القاهرة أو مديريات الوجه البحري ، وبعض مديريات الصعيد مما يلي القاهرة ، حتى ليهرع إليك عدد من الحمالين قد لا يكون إليك حاجة بهم ، ومع هذا يكاد كل منهم أن ينتزع أمتعتك منك ، ويحملها عنك ... وإنما وجدنا فيهم تباطؤاً وكسلا ، وتوانياً ، جعلنا نصرخ فيهم ، ونشتد معهم في المعاملة ، ونقسو عليهم في القول ، وهم يتهربون ، ويتسللون لواذاً ، وكأنما نريد أن نستغلهم استغلالا ، وأخيراً قالوا لنا : دعوا أمتعتكم ، واذهبوا إلى المدرسة ، وسنوافيكم بعد مدة ، عندما ترحل الباخرة .. !!

ونظر بعضنا إلى بعض نظرات ملؤها الدهش والعجب ، والحيرة والارتباك ، إذ كيف ندع أمتعتنا على الشاطيء بين فئة لا ندري من أمرها شيئاً ؟ ! وكأنما زاد مخاوفنا ظلام الليل ، الذي لم تجد معه أضواء الباخرة شيئاً ، بل كانت هذه الأضواء مع قوتها ضعيفة واهنة ، وكأنها أشعة خافتة لنجم كليل !! وكانت أمواج النيل الصاخب ، تضطرب في عنف ، وترتفع إلى حيث تقف مع الجموع المستقبلة للباخرة وتقبل منا الأقدام ، في ثورة خانقة ، وغيظ صارخ ، فتبلل أحذيتنا ، ولكنا من فرط ما نحن فيه من دهشة وعجب واستغراب ، لا نكاد نشعر بهذه الأمواه ، ولا نحس لها أثراً ؟ !

وضاقت صدورنا . لأننا وقد أثقلتنا هذه الأحمال والأمتعة ، لا نجد من يسرع في حملها حيث نريد .. وتطلعنا حوالينا ، فلم نجد إلا النيل شرقاً ، رحباً مخيفاً ، والجبال غرباً ، بشبحها المظلم القاتم ، وكأنها حراس علينا ، تشرع في وجوهنا أسلحة لا نطيق لها صبراً ، ولا علها احتمالا ، فبقينا هكذا مدة ، ثم عارض بعضنا في هذا ، وسكت البعض الآخر مقتنعاً بهذه المعارضة ، ولكنا في النهاية لم نجد مناصاً من الرضوخ لهذه الرغبة ، والنزول على هذه الإرادة مكرهين ، فلقد اتجهت إلينا الأنظار متعجبة دهشة ، وكأنها تقول : علامَ التشكك والارتباك ، وعلام الخوف والاضطراب وهذه البلاد لا موضع فيها لخائن الأمانة ، أو ناكث للعهد ، أو خافر للذمة ؟!! وكأنما كانت هذه النظرات ألسنة ناطقة ، لا نظرات صامتة ، فسرعان ما شمرنا جميعاً بالتخاذل والخجل ، ومضينا إلى حيث نريد ..

سرنا على الميناء متجهين إلى المدرسة كما أشار لنا بعض الواقفين ، وميناء عنيبة جسر ممدود إلى داخل النيل ، نهايته على الشاطيء الأصلي للنيل ، فإذا جاء الفيضان ، وارتفعت مياه النيل خلف الخزان في نوفمبر تقريباً من كل عام ، وجدت الميناء عبارة عن لسان طويل جداً ، ممدود حوالي ثلاثمائة متر ، وعرضه متران تقريباً ، فإذا ما زاد الفيضان ، غمر هذا اللسان ، ورست البواخر على الشاطيء الجديد ، الذي يظل الماء عنده إلى أوائل مايو ، ثم يأخذ في الانحسار مرة أخرى حتى يصل إلى الشاطيء القديم ، فيضيق النيل كثيراً . وحول الميناء شاهدنا بضع عوامات ، وعلمنا أنها كلها تابعة لوزارة الأشغال (مصلحة الميكانيكا والكهربا) ، وأن منها ما يستعمل كـ (عنبر) صغير به مضخات لرفع مياه الشرب من النيل إلى محطة الطلمبات الخاصة بهذه العملية في مستعمرة عنيبة . ومنها ما يستعمل كمنازل صغيرة لغير المتزوجين ، ومنها ما يستعمل للصيانة ، فيكون أشبه بمصنع صغير متنقل ، وهذا لا يرسو في عنيبة دائماً ، وإنما ينتقل بين محطات المركز كبلانة والدكة وغير ذلك .

كان الظلام حالكا ، والسكون شاملا ، ولم يكن هناك أثر لشعاع من النور ، وخاصة وقد صفرت الباخرة ، وأطفأت مصابيحها الأمامية (الكشافات) التي لا تضيئها إلا عندما تريد الإرساء في محاط المركز .. أما عندما تسير فلا تستطيع أن تنير

هذه المصابيح ، لأنها بانعكاسها على الماء ، واضطراب صفحة الماء، تدع الربان لا يستطيع أن يتبين طريقه ، ولا يعرف كيف يسير !

ومضينا نضرب فى الرمال على غير هدى ، لا نكاد نرفع رجلا حتى تغوص أخرى ، الأمر الذى أوهن قوانا ، وأضعف عزائمنا، فقطعنا المسافة من الميناء إلى المدرسة فى ساعة ونصف تقريباً ، بينما هى لا تتجاوز الألف متر .

وشعر كل منا بتقصير المدرسة فى حقنا ، فكان الواجب . يقضى بأن ترسل فى انتظارنا أحد فراشيها ، وهم كثر على ما سمعنا، كدليل على الأقل يكفينا مؤنة السؤال عن الطريق وسط هذا الظلام الحالك ، الذى لم يجدنا معه السؤال شيئاً ، إذ أن كل شخص نسأله لا يحرك ساكناً بل يكلمنا فى هدوء وسكون وهو جالس دون مبالاة ، مما جعلنا نغلظ القول لبعضهم ، وكدنا نعتقد أن كل الأهلين على هذا الوضع من الخمول المعيب ، والكسل الأليم .

ودفع هذا الوضع الشاذ بعض الزملاء إلى الصراخ وسط هذه الفلاة القاتمة ، بألوان من السباب والغيظ ، والنقمة والثورة، ولكن الصوت كان يتردد صداه فى وحشة مرعبة ، وكأنما نحن نسير فى مقبرة مهجورة تعبث فيها الجن ، ومردة الشياطين فساداً ، وتنكيلا بالناس ..!!

وأخيراً وصلنا إلى المدرسة بعدما أرشدنا خفير المستشفى الذى اضطر لذلك اضطراراً حينما كدنا نضل الطريق نهائياً .. وفتحت لنا المدرسة أبوابها ، وكنت لا تسمع فيها حركة ولا صوتاً ، على الرغم من نوم التلاميذ ، وكثرة عددهم ، الذى يربي على خمسمائة تلميذ . واستقبلنا مشرفان فاضلان ، وجدنا فى سماحتهما ولطف حديثهما ما هوّن علينا ما قاسينا من مصاعب ، فى هذه السفرة الشاقة ، والرحلة المضنية ، وخاصة وأن أكبر مسافة قطعتها قبل أن أنقل إلى هذه البلاد ، هى المسافة ما بين القاهرة والإسكندرية ، والتى لا تتجاوز الأربع الساعات . .

وجال معنا المشرفان قليلا فى أنحاء المدرسة ، بالقدر الذى يسمح لنا بتعرف ما حولنا ، ورؤية المكان الذى سنبيت فيه ، لنكون على خبر به ، وبينة من أمره وبخاصة ومعنا صبى صغير هو نجل أحد الزملاء ، وقد سمع هذا الصبى عن عقارب عنيبة فى الباخرة ما جعله ينكمش فى نفسه طوال المدة ، ولا يكاد يضع رجليه على الأرض ، خشية أن يناله مكروه ، فبقى شارد الطرف ، حائر الفكر ، مضطرب الشعور ، لا تكاد تكلمه حتى تدرك مبلغ ما يعانيه من حيرة وارتباك ... وكان الظلام ناشراً لواءه على المدرسة كذلك ، وكانت هذه المصابيح الهوائية الضئيلة ، تبعث الضوء خافتاً باهتاً ، وكأنما هو خائف مضطرب، يخشى صولة الظلام القاهر ، ووحشة الليل المخيف ...

والمدرسة كما علمنا لا تضاء بهذه المصابيح الهوائية المنتشرة فى كل ناحية من نواحيها ، والتى تشتعل بزيت النفط ، بل تضاء بالكهرباء، فلها مولد كهربى خاص ، إلا أنه يدور قبيل الغروب من كل يوم ، ويتوقف عن الإدارة فى الحادية عشرة مساء ، إلا إذا دعا الداعى ، لأن يبقى مدة أطول ، ساعة أو ساعتين حسب الحاجة إليه ، بأن أقيمت فى المدرسة حفلة للسمر ، أو لتوديع بعض الزائرين ، وانتظار الباخرة التى ستقلهم إلى الشلال، إذ أن ميعاد بعض البواخر وهى السريعة ، الواحدة والنصف صباحاً ، أو الثانية أحياناً ، ولكن لابد للمسافر من أن ينتظرها ابتداء من الثانية عشرة أو قبل ذلك ، فربما تدفعها الريح مسافة تتقدم بها ساعة أو ساعتين !! أقول وفى هذه الظروف تبقى الإنارة حتى تنتهى الحفلات ، أو المناسبات ، ثم تشعل المصابيح على الأثر . .

وما كاد يستقر بنا المقام ، حتى جاء الحمالون ، ومعهم أمتعتنا، يحملونها على الحمير النحيفة العجفاء ، فكان هذا دليلا عملياً ناطقاً بالأمانة الشاملة فى هذه البلاد !

عبد الحفيظ أبو السعود

الأدب والفن في أسبوع

« التيسير » بدار الكتب :

انتهز حضرة صاحب المعالي عبد الرزاق السنهوري باشا وزير المعارف ، فرصة وجوده بأمريكا في وفد مصر إلى مجلس الأمن ، فزار بعض الجامعات الأمريكية ، واتصل بأساتذتها ، وفاتح بعضهم في دعوتهم إلى زيارة مصر ، فأبدوا ارتياحهم إلى ذلك ، ووعد بأنه سيهتم عند عودته إلى مصر بتوجيه الدعوة الرسمية إليهم . وزار معاليه أيضاً مكتبة « الكونجرس » التي تعد أعظم مكتبة في العالم ، وقد تحدث إلى مراسل الأهرام عن هذه المكتبة فقال : « تحوى هذه المكتبة سبعة ملايين مجلد ، وقد أصبحت كعبة المنقبين والعلماء ، وتهيئ لرواد الكتب من أسباب التيسير ما لا تهيئه لهم أية مكتبة أخرى في القارتين »

وليت معاليه يدعو بعض موظفي مكتبة « الكونجرس » لزيارة دار الكتب المصرية ، ليقفوا على ما تهيئه لروادها من أسباب التيسير التي منها : « في الخارج » و « لدى الوظفين » و « في المطبعة » و « مفكوك » و « في المنارة » ويأتي أحد هذه الأسباب على « سند الاستمارة » إلى طالب الكتاب بعد وقت يدهش الأمريكي ، الذي يعيش في عالم السرعة ، للبراعة في تضييعه ! ويظهر أن دار الكتب قد وصلت إليها عدوى « الأداة الحكومية » لا في البطء وحده بل كذلك في الوساطة والتوصيات ، إذ أصبح من اللازم لكي تحصل على الكتاب المطلوب أن تستعين بصديق من موظفي الدار …

وبعض تلك الأسباب : « أسباب التيسير » عجيب ، فقد طلبت كتاباً في أيام متباعدة ، وفي كل مرة كانت تزحف إلى كلمة « مفكوك » على سند الاستمارة … فلم يظل مفكوكا ؟ أما مسألة « المنارة » فهي أعجب العجب ! فقد أودع هذه المنارة كثير من الكتب خوفاً عليها من الغارات الجوية ، وانتهت الحرب ، وأضيئت القاهرة ، وأزيلت المخابئ والغيت وزارة الوقاية … كل ذلك والكتب نائمة في « الكهف » وما تزال في سباتها !

ولكني أخشى ، من حضور الأمريكيين إلى دار الكتب المصرية ، أن يتحدثوا عن مصر عندما يعودون إلى بلادهم فيضموا موضوع « التيسير بدار الكتب » إلى « كرم الضيافة » و « الآثار القديمة » و « الشوارع الكبيرة التي جدت بالقاهرة » التي جرى على الإشادة بها من زار مصر قبلهم من الغربيين المجاملين ، كأنهم لم يروا في هذه البلاد شيئاً يعجبهم غيرها !

كان وأخواتها :

هكذا سمي العدد الخاص الذي ظهر أخيراً من مجلة « الإثنين » وقال المحرر مقدماً هذا العدد : « إنه كان في النية أن يكون خاصاً « بكان » وأخواتها ، فاحتجت « إن » وأخواتها ، فلم يسع التحرير إلا إجابة طلباتهن » .

وكانت إجابة تلك الطلبات أن جمل « لأن » وأخواتها ما « لكان » وأخواتها في هذا العدد من حق … هو أن يبدأ بكل منها أو يتضمنها عنوان موضوع من الموضوعات التي اعتادت المجلة أن تنشر أمثالها … ومن هذه العناوين « كنت أدخن السجاير اللف » و « إن مع العسر يسرا » و « لست ملاكا » و « بات على الرصيف » .

وقد ذكرني هذا الصنيع بما كان يفعله كتاب العصور المتأخرة من استعمال الاصطلاحات النحوية في كتاباتهم وما كانوا يتجشمونه من الإتيان بكلام يتكون كله من الحروف المعجمة ، أو يخلو من حروف معينة ، وغير ذلك من ضروب الرياضات الكلامية التي كانوا يتوفرون عليها لإظهار التمكن وإحراز السبق

ولا شك أن عدد « كان وأخواتها » بذل فيه جهد في اختيار العناوين المبتدئة والمتضمنة إحدى تلك الأدوات ، ولكن ما محصل كل هذا ؟ !

على أن فيه غير العناوين جهداً آخر « ليته » لم يكن .. هو صفحة عنوانها « لكن في تاريخ البشرية » حوت وقائع من التاريخ تغير فيها مجرى الأمور وكانت « ولكن » نقطة التحول ، مثال ذلك : « غزا الاسكندر أفريقيا وآسيا ، وأصبح سيد العالم وهو في شرخ الشباب وعنفوان الجمال ، وأراد أن يجمع الشرق والغرب تحت تاج واحد ، ويصهرهما في حضارة واحدة … ولكن … في يوم من أيام القيظ نزل الاسكندر للاستحمام في مياه نهر بارد ، فأصابته حمى قضت على حياته » .

وبقية الأمثلة على هذا النسق من حيث موقع « ولكن »

فيها ، وقد قدم لها كاتبها بأن « لكن » من أحرف العطف التى « تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها » . فلكن هنا — مع أنها قد تسللت إلى العدد الخاص « بكان » و « إن » وأخواتها — ليست من أحرف العطف ، لأنها مسبوقة بالواو وداخلة على جملة ، فهى حرف ابتداء ، وهى لم تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها .

وفى العدد مقال للأستاذ محمد توفيق دياب بك عنوانه « إن من البيان لسحراً » قال فى مفتتحه : « وأخذت فى التروية والتفكير : إن من البيان لسحراً ... من عسى أن يكون قائلها الأول ؟ وأجابت الذاكرة : إنه الرسول الكريم قالها إعجاباً بقصيدة إسلامية ألقاها بين يديه حسان بن ثابت » .

والذى نعرفه أن الرسول الكريم قال هذه الحكمة لعمرو ابن الأهتم عند ما علل مدحه الزبرقان بن بدر وذمه له فى مجلس واحد لاختلاف الباعث — بقوله وقد رأى كراهة ذلك فى وجه الرسول : « يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية »

وساق الأستاذ دياب مثلا للبيان الساحر بعض قصيدة ابن الرومى التى رثى بها ولده « محمداً » من قوله :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد

وقال الأستاذ : « وكان محمد ولده الأوسط بين أخوين » ؛ وهو يريد بهذا تفسير « أوسط صبيتى » ؛ وإنما يريد ابن الرومى أن الموت أخذ خير أولاده ، ولو كان المراد المتوسط بين أخوين ، لكان الكلام تافهاً لا يليق بابن الرومى .

وقد عنيت بكل ذلك ، لأن «الاثنين» مجلة منتشرة ، وأحب ألا يستقر فى الأذهان إلا الصحيح من مسائل اللغة والأدب .

موسم الأوبرا والفرق الأجنبية :

تعمل الآن الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى إعداد رواية « الناصر » لتمثيلها على مسرح الأوبرا فى مفتتح الموسم القادم ، وقد ألف هذه المسرحية الأستاذ عزيز أباظة باشا تحقيقاً لرغبة ملكية سامية فى أن يظهر على المسرح عصر من أزهى عصور العروبة والإسلام .

والعصر الذى تعرض الرواية صوراً منه ، هو عصر العرب الذهبى بالأندلس ، عصر عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ، ويقع فى القرن العاشر الميلادى ، أى فى العصور الوسطى ، إذ كانت أوربا يسودها الجهل والفوضى وكل مساوئ الحكم الإقطاعى ، على حين كانت الأندلس ، فى طرفها الجنوبى الغربى ، قد سعدت بالعرب فازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون ، وانتشر العدل وعم الرخاء .

وتعاون وزارة المعارف ووزارة الشئون الاجتماعية الفرقة المصرية على إعداد هذه المسرحية ، لتهيئ لها أسباب النجاح ، ولتظهر المجد العربى على المسرح فى المظهر اللائق به .

وهذه الرواية فاتحة طيبة لموسم التمثيل بالأوبرا ، نود أن تعقبها وتشغل الموسم كله فى هذا العام مسرحيات عربية تمثلها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبعض الفرق المصرية الراقية التى تشكو التعطل . أعنى ما يأتى :

١ — يطلب من الكتاب الذين عرفوا بالإجادة فى التأليف المسرحى أن يغذوا المسرح بقصص تصور واقع حاضرنا وسالف مجدنا ، وفى توجيه الطلب إليهم تقدير لهم يحفزهم على الإنتاج ، ولا بأس بقبول الجيد مما يقدم من غيرهم ، ويتكون من ذلك ومن بعض المسرحيات المصرية القديمة مواد (لتموين) الموسم .

٢ — تشغل الموسم كله فى مسرح الأوبرا ، الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى ، وتدعى للعمل به كذلك الفرق الكبيرة التى عانت الكساد فى السنوات الأخيرة ، وكان المكان ، أى المسرح ، من أسباب هذا الكساد ، فنهيئ لفرقنا مجال العمل ، ولفننا فرصة الازدهار .

٣ — وعلى ذلك ، ومراعاة للظروف السياسية التى نحن فيها ، لا يكون ثمة أى داع لمجيء الفرق الأجنبية إلى هذه الديار فى هذا العام على الأقل ، وخصوصاً الفرق التى تأتى من بلاد الأعداء ومعاونيهم علينا ، وحسبنا ما كان من « تمثيلهم » فى مجلس الأمن ... ولست أدرى كيف لا تحول « قيود » الظروف الحاضرة « الصعبة » دون استيراد هؤلاء !

وما أحوجنا الآن فى جهادنا الحالى إلى المبلغ الضخم الذى ينفق على الفرق الأجنبية لننتفع به فى مساعدة الفرق المصرية بجزء منه وصرف الباقى لتقوية الجيش .

أما حضرات السادة ذوو الأذواق العالية التى لا يرضيها إلا الفن الغربى .. فيجب عليهم أن يعيشوا معنا ، ويحسوا إحساسنا ، ويصحبونا إلى مشاهدة تمثيلنا والاستماع بفننا .

وقد كنت أجعل المطلب الرابع تخفيض أسعار دخول الأوبرا ، لتتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من طبقات الشعب — لولا أنى قرأت فى إحدى المجلات أن ذلك قد تقرر فعلا .

توصيات المؤتمر في اللغة العربية :

أثبت في الأسبوع الماضي على أهم توصيات المؤتمر الثقافي ، في التربية الوطنية ، والجغرافيا ، والتاريخ . ولما كانت توصيات اللغة العربية لم تذع ، فقد ظن أن المؤتمر لم يتخذ قرارات في شأنها ، وقد أشرنا إلى ما تراءى إلينا من هذه الظنون

والواقع أن لجنة اللغة العربية كانت تأخرت في إعداد تقريرها ، فترتب على ذلك تأخر طبعه عن جلسة المؤتمر الختامية ، فتليت توصيات اللغة العربية من نسخة مكتوبة باليد ، ووافق عليها المؤتمر كما وافق على توصيات المواد الاجتماعية التي كانت قد طبعت ، فأرسلت الأخيرة إلى إدارة الصحافة بالجامعة العربية ، فوزعتها على الصحف ، ولم ترسل توصيات اللغة العربية من لبنان إلى حين كتابة هذا ، ولعلها في الطريق

وقد اطلعت على نسخة مخطوطة من هذه التوصيات ، وهي مفصلة شاملة لمناهج السنوات المختلفة بالتعليمين الابتدائي والثانوي في مواد اللغة العربية . ونقتطف منها بعض التوصيات العامة فيما يلي :

افتتح تقرير لجنة اللغة والقواعد ، بأن المؤتمر يرى أن قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف وإملاء ، تحتاج إلى تيسير وتبسيط يقربانها من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة

وجاء في تقرير لجنة الأدب أن الغاية من التثقيف الأدبي في المرحلة الابتدائية تنشئة الطلاب على الأخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي ، مع تربية ذوقه الفني ، وتنمية ملكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة .

وفي التعليم الثانوي يجب أن ينظر إلى الأدب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول أيضاً الموضوعات الفكرية والعقلية المصوغة صياغة أدبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ورسالة حي ابن يقظان وبعض كتابات الغزالي وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك . وفي المرحلة الأولى من دراسة الأدب يكون الاعتماد على نصوص أكثرها من الأدب الحديث ، وأقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الأدب القديم . ويكتفى من تاريخ الأدب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها . وفي المرحلة الثانية تختار نصوص أدبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي إلى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة الأدب مستمدة من هذه النصوص

ويرى المؤتمر أنه يجب ألا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وأن نعود بالنقد إلى وظيفته الأساسية ، وهي تذوق الأدب ، وفهم نصوصه ، وإدراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي إلى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة أفكارها ، وتبين ما فيها من جمال أو نقص ، وتعرف ما بينها وبين شخصيات منشئها من صلات ولا حظ المؤتمر أن تسمية الإنشاء باسم « التعبير » أفضل لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه إلى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ

ويوصي المؤتمر بأن يعطى للغة العربية — وهي عماد الثقافة القومية — أكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم

ونكتفي الآن بهذا القدر ، على أن نأتي في الأسبوع الآتي بما رآه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك من الثقافة العربية بين ناشئة العرب .

« العباسي »

الكتب

عرض ونقد :

أخي إبراهيم

(تأليف الآنسة فدوى طوقان)

بقلم الأستاذ إبراهيم محمد نجا

هذا كتيب لطيف الحجم ، جم الفائدة ، كتبته الشاعرة النابهة الآنسة فدوى طوقان ، عن أخيها شاعر فلسطين ، وفقيد الشعر العربي الأستاذ إبراهيم طوقان . والذين قرؤوا رثاء الآنسة فدوى لأخيها إبراهيم ، قد لمسوا من غير شك في هذا الرثاء مبلغ ما تكنه الآنسة لأخيها الشاعر من الإعجاب والتقدير ، وعرفوا مقدار ما بينهما من ألفة الروح ، وقرابة العاطفة ، فوق ما بينهما من ألفة الأخوة ، وقرابة الدم .

والذين يقرؤون هذا الكتيب يلمسون فيه كذلك كل هذه المعاني والمشاعر في صورة قوية واضحة ؛ فقد شاءت الآنسة أن تصدر كتابها بهذه الأبيات الحزينة المتفجعة التي تصور الحزن والإعجاب معاً تصويراً قوياً مؤثراً :

أي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من نبضات الفؤاد ؟!
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها ، فتهتز الربا والوهاد !
ثم ترامت صريع الوهن مخضب الروح ، سليب الضماد !
وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد !

ثم أخذت تعرض صوراً من حياة أخيها في مراحلها المختلفة بأسلوب يستدر الدمع ، ويستثير الشجون ! وهي في أثناء ذلك تأتي بنماذج من شعره ، لا تعرض لها بالنقد والملاحظة ، وإنما تذكر دواعيها ومثيراتها ، ثم تدع للقارئ أن يحكم عليها . أما هي فمعجبة بشعر أخيها كل الإعجاب ، مؤثرة لشخصه كل الإيثار .

وأشهد أني بعد أن قرأت هذا الكتاب — وفيه نماذج كثيرة من شعر إبراهيم — قد أصبحت أكن لهذا الشاعر من الإعجاب والتقدير مثل ما أكنه لكل شاعر موهوب . وما أندر أصحاب المواهب في هذا الزمان ! وأصبحت كذلك أجد لفقده من الأسف والحسرة مثل ما أجد لفقد الشابي والهمشري والتيجاني والمعلوف وبليبل وأمثالهم من الشعراء الذين فقدناهم ، وهم في ريعان الشباب ، ومعقد الأمل ، ومناط الرجاء . وإن كان بعض هؤلاء لم أعرف عنه ، ولم أقرأ له إلا بعد موته بسنوات .

ورأيي الصريح في إبراهيم أنه يمتاز في شعره بدقة الوصف ، والإحاطة بالتفاصيل ، دون أن يضطره ذلك إلى الإسفاف والتبذل في الألفاظ أو المعاني . وقد أعانته على ذلك قوة روحه الشاعرة ، ووفرة ثروته الأدبية . كما يمتاز برقة الألفاظ في مواضع الرقة ، وجزالتها في مواضع الجزالة ، وجمال التخييل ، وطرافة المعاني في كثير من القصائد .

وقد مهدت له براعته في الوصف سبيل البراعة في الشعر القصصي كما يظهر ذلك جلياً في قصيدته الرمزية القصصية الرائعة « مصرع بلبل » . وفي يقيني أن إبراهيم لو مد في عمره لأتى بالمعجب المطرب في هذا الفن من فنون الشعر الحديث .

ولكنه في شعره الغزلي في حاجة إلى شيء من قوة الانفعال ، وفورة العاطفة ، فقد سيطرت على هذا الشعر رقة الشعور ووداعة العاطفة ، وهدوء النفس . ويبدو ذلك واضحاً في قصيدتيه « ملائكة الرحمة » و « في المكتبة » . ولولا ما في هذا الشعر من براعة الوصف ، وطرافة المعاني ، وجمال الأسلوب ، لما استحق إبراهيم أن يعد من شعراء الغزل في هذا العصر .

أما شعره في الوطنيات والموضوعيات — على حد تعبير الآنسة فدوى — فهو شعر قوي الألفاظ والمعاني على السواء ، وإن كان بعض هذا الشعر تفوته جزالة الألفاظ ، وفخامة الأسلوب ، مثل قصيدته « الشاعر والمعلم » التي يقول في مطلعها :

شوقي يقول وما درى بمصيبتي « قم للمعلم وفه التبجيلا » !

وقصيدته التي يقول في أولها :

أنتم المخلصون للوطنية أنتم الحاملون عبء القضية

وقصيدته التي يقول فيها :

إن قلبي لبلادي لا لحزب أو زعيم

ولست أدري لماذا تذكرني هذه القصيدة بمقطوعة البارودي التي يقول فيها :

أنا فى الشعر عريق لم أرثه عن كلاله
كان إبراهيم خالى فيه مشهور المقاله

وهناك فن من فنون الشعر لا أجد إبراهيم يفرده بالحديث ، ويختصه بالقول ،وإنما يلم به فى قصائده إلماماً ، ويعرض له عرضاً، ذلك هو تحليل النفس البشرية وسبر أغوارها ، وتصوير حالتها المختلفة ، وتجاربها المنوعة ، مع أن هذا الفن من فنون الشعر أدل على عمق إحساس الشاعر ، وكثرة تجاربه ، وسعة أفقه ، من غيره من فنون الشعر المختلفة . والشعراء بعد ذلك درجات فى شعر الحالات النفسية ، فمنهم من يقف عندما يخص نفساً دون نفس ، أو طائفة من النفوس دون طائفة ومنهم من يوفق إلى ما يمس النفوس البشرية كلها فى أحوالها المختلفة .

ولعل إبراهيم قد صرفه الحديث عن آلام وطنه عن تعمق النفس البشرية . وآلام الوطن لا تحتاج لإحساسها إلى التعمق والإستقصاء ؛ لأنها تغلى فى النفوس ، وتجيش فى الصدور ، ولكنها فى حاجة إلى من يحسن تصويرها ، والتعبير عنها ، والتأثير بها . ومهما يكن من شىء ، فإن إبراهيم طوقان موهبة من المواهب الفنية ، يعظم فيها الرزء ، ويجل عنها العزاء ، ويعز فيها العوض .

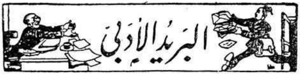
وإذا كان لى بعد ذلك أن أدل الآنسة الفاضلة على شىء ، فإنما أدلها على أنها قد عرضت حياة أخيها عرضاً موجزاً يوشك ألا يسمى ترجمة حياة . فإن كان ذلك ضرورة من ضرورات النشر ، فهل لها أن تتناول هذه الحياة بمقالات تفصل فيها ما أجملت، وتوضح ما أبهمت ، وتذكر ما لم تذكر ؟ !

وشىء آخر أحب أن أدل الآنسة عليه ، هو أنها قد تركت بعض جوانب من حياة أخيها دون أن تعرضها ، فعلت ذلك عن عمد وإصرار ، كما يبدو من إهمالها الحديث عن « سيئات ! » هذا الغرام الذى قام بين أخيها وبين فتاته أو فتاة الجامعة الأمريكية ببيروت ، مع أنها لم تهمل الحديث عن حسنات هذا الغرام ... حسناته الأدبية طبعاً !! ومع أنها ذكرت أن لهذا الغرام سيئات، ثم قالت : « أما السيئات ، فليس هذا بموضع تدوينها » ! لماذا؟ ألأن هذه « السيئات » سيئة إلى الحد الذى يجعل القلم الأنثوى يتصبب « مداداً ! » حين يخوض فى حديثها ؟

على أن الذى أفهمه أن على الآنسة أن تكون مؤرخة فى كتابتها قبل أن تكون شيئاً آخر ، وأن التاريخ الأدبى يقتضيها إذا ذكرت ناحية من النواحى الظاهرة أو الخفية فى حياة من تكتب عنه ، أن تقول فيها ما يغنى وما يفيد . ومن يدرى ، فقد تكون النواحى الخفية فى حياة الشاعر أدل على معرفة نفسه، وأبعث على فهم شعره، من غيرها من النواحى الظاهرة .

وبعد ، فالرأى أن الآنسة الفاضلة قد دلت بكتابها على أنها تملك موهبتى الشعر والنثر معاً ؛ فقد أجادت فى حديثها عن أخيها حديثاً ممتعاً حزيناً مؤثراً ! وأجادت كذلك فيما اختارت له من النماذج الشعرية التى نثرت بعضها فى أثناء الكتاب ، وجعلت بعضها الآخر فى آخره . فهل لها أن تعنى بطبع ديوان أخيها إبراهيم طبعاً يليق به ، وتروج له ؟ إنها حين تفعل ذلك تقدم خدمة كبيرة ، لا أقول لأخيها فحسب ، وإنما أقول للشعر العربى أيضاً . رحم الله شاعر فلسطين إبراهيم طوقان ، ومد فى حياة فدوى طوقان شاعرة فلسطين .

ابراهيم محمد نجا



تفرعن ، فرعونه :

تخنت (الاثنان) الغراء فى الجزء ذى الرقم (٦٩٢) — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ — أن الفعل (تفرعن) هو من كلام العوام ، فأنزلته فى تضاعيف عباراتها فى مقالة من مقالاتها وسط أقواس [١] أربع أو أهلة معرفة قراءها بما فعلت أن المقام اقتضى استعمال هذا الفعل على عاميته مبالغة فى التبيين واستقصاء ، وإنها بحاله لعليمة . فإن كانت (الاثنان) تخنت ما تخنته أو استيقنته فلتعلم — غير مأمورة — أن (تفرعن) فعل صحيح فصيح وعربى بحت قد نجلته العربية فى (الجزيرة) ولو وضعته فى مصر أو فى الشام أو فى العراق أو فى المغرب الأقصى ما أنكرناه ولتقبلناه بقبول حسن كما تقبلنا سواه ، وهى العربية المتبحبحة المتصرفة فى كلامها ، ولها لأمتها أن يتصرفوا ولا يقفوا . وإنه لما جاء (فرعون) اسمه إلى (الجزيرة) وتحدث الأقوام بما تحدثوا به اشتق منه (التفرعن) و (الفرعنة) ولم يسلم هو فراح (فرعون) عند العرب صفة صرفوه فيها ومنعوه علماً فـ « كل عات متمرد فرعون » كما فى اللسان والتاج ، وفى الأساس: «فيه فرعنة ، قال:

وقد يكون مرةً ذا فرعنهْ .

وقد تفرعن علينا فلان ، وما هو إلا فرعونٌ من الفراعنة ، ومن المجاز : تفرعن النبات إذا طال وقَوِىَ » .

وخير لغاته هى ما نطق بها (الكتاب) أى بكسر الفاء وفتح العين ، وحكى ابن خالويه عن الفرّاء (فرعون) بضم العين وفتحها ، وهى لغة نادرة كما فى التاج .

والاشتقاق من أسماء الأعلام فى الجاهلية والإسلام كثير . وقد يغنى فعل أخذ من اسم عن كلام طويل ، فمن ذلك ما أورده الإمام الزمخشرى فى (أساس البلاغة) : « وتجاحظ فلان فى كلامه »

وما ذكره فى شرح لإحدى مقاماته :

« ابن الفرات هو على بن محمد بن الفرات وزير المقتدر ، وكان كريماً سخياً سرياً يتبرمك فى أيام وزارته »

وهذان الفعلان (تجاحظ وتبرمك) المأخوذان من ذينك الاسمين فيهما من المعانى ما فيهما ، والأمثلة من هذا القبيل جمة .

ذكرنى (الاثنان وفرعون) بخبر فى (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)[١] وبأبيات لأمير الشعراء (أحمد شوقى) — رحمه الله — فى قصيدة عظيمة عبقرية . جاء فى الروض :

« حضر مجلس (الإمام) الأعمش قوم ليسمعوا الحديث ، فقال : ما اليوم ؟

فقال رجل منهم : الاثنين . فقال (الإمام) الأعمش : الإثنان[٢] ، ارجعوا فأعربوا كلامكم ثم اطلبوا الحديث » .

قال أمير الشعراء :

زمان الفرد يا (فرعون) ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا
(فؤاد) أجل بالدستور دنيا وأشرف منك بالإسلام دينا[٣]

السهمى

أدب العروبة فى الميزان :

كانت الجولة الأخيرة للأستاذ على متولى صلاح بين دفتى الأثر القيم الجامع لأدباء العروبة تعقباً لآثار ثلاثة من شعرائها ، كاتب هذه السطور ، والأستاذين العوضى الوكيل وطاهر محمد أبى فاشا .

وأحب أن أناقش ما جاء فى ثنايا مقاله من هنات أخذها على مشكوراً فى رفق ومودة .

يقول الأستاذ (أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلى إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته فى أمر لا علاقة للموضوع به فذلك ما نأخذه على الشاعر) . وقد استشهد على ذلك بقصيدتى فى الفيوم ، قائلا إننى لم أسق (من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد

---

(١) فى الصحاح : القوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس

(١) ربيع الأبرار للزمخشرى وروض الأخيار لمحمد بن قاسم بن يعقوب ...

(٢) اللسان : والإثنان من أيام الأسبوع والجمع أثناء على ماحكاه سيبويه ، وحكى مطرز عن ثعلب : أثانين .

(٣) فى هذه العبقرية بيت بارع أسرف أدباء وأديبات فى ظلم قائله وظلمه من سوء فهمه ، ولم يزل يظلم ، وقد أنصفه (صاحبى) فى إملاء من أماليه فى وقت ، والبيت هو هذا :

شباب قنع لاخير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

من الأديبات الفاضلة الآنسة حواء إدريس .

شيئاً) وأننى (سردت على الناس قصة غرام شخصى فى غزل أخاطب به حبيبة بعينها) ..

أما أننى جانبت الموضوع فى مهرجان الفيوم فهذا ما يصعب أن أوافقه عليه ..

فإن موضوع الفيوم متعدد الجوانب ، متشعب الاتجاهات . (والتاريخ الحافل والماضى المجيد) أحد هذه الجوانب . ورياض الفيوم وجناتها مضطرب واسع لخيال الشاعر ..

وما الذى يزعجك يا سيدى من أن يتكفل النثر (بالجانب التاريخى الحافل والماضى المجيد) تاركا للشعر أن يصور جمال الطبيعة فى الفيوم ، وأنا أحيل الأستاذ متولى على قصيدتى مرة أخرى ليقتنع بأننى لم أشد قيد أنملة عند تناول الموضوع من هذه الناحية .

أما عن قصيدتى فى المنصورة ، فالمنصورة كما يسميها أستاذنا الكبير الزيات صاحب الرسالة بلد السحر والفتنة والجمال فلا تثريب على الشاعر من أن يتأثر بهذه الأجواء الساحرة الفاتنة على أننى لم أفرط فى قصيدة المنصورة فى الاستطراد فى ذكر (الناحية التاريخية والماضى المجيد) .

ثم ليسمح لى الأستاذ أن أتحداه فى غير هاتين القصيدتين وموضوعهما من الشعر كما قدمت — أن يذكر بيتاً واحداً خارجاً عن الموضوع فى سائر القصائد الأخرى فى الكتاب .

أما أننى أتغزل فى حبيبة بعينها ، فليتفضل الأستاذ بمراجعة ما تحت يده من دواوين الشعراء فى عصور الأدب العربى وأنا الزعيم له بأنه سيجدهم جميعاً مفهومين جداً وهم يتغزلون فى واحدة بعينها وأن الأدب العربى لم يسجل عليهم فى هذا الصدد عيباً أو نقيصة . أما بقية المآخذ فسأجمل الرد عليها إجمالا .

فعدم علم الأستاذ بكيفية نثر الطيور للأزهار فوق الروابى فلست مسئولا عنه فقد رأيتها بعينى رأسى وعليه أن يغشى إحدى جنات المنصورة ليرى ما رأيت . أما ان كلمة أنس الأمانى عامية ولا معنى لها فحينا يحرمه الله تحقيق أمنية له — لا قدر — ثم يشاء له تحقيقها حينئذ سيستشعر أنس هذه الأمنية لقلبه وعواطفه — أما أن البيت :

أقضى الليالى أنات مرددة والشاهدان على النجم والسهد

لا يكون السهد شاهداً مع النجم وهى حالة يعانيها من كتبت عليه المحنة فلم لا تكون هذه الحالة نفسها شاهداً ؟

أما المفاضلة بين « غزالة » و « بغداد » وبين « الدسوقى » و « الرشيد » فقد فهمها منهما غريباً لا يتسق مع ما ترى إليه الأبيات من تشبيه يلتقى فيه البلدان والرجلان عند هدف التمجيد والتكريم والاشادة بمن يعمل على رفع شأن الأدب ورعاية الشعر .

أما أن كلمة « مليا » فى البيت :

يا لواء الفاروق عشت مليا نحن نفدى لواءه المقصودا

كان الأولى أن يكون موضعها « دواما » لأن معنى الأولى الزمن الطويل بدليل الآية (واهجرنى مليا) فلمل الأستاذ يوافقنى على أن كلمة « مليا » تنساق فى الجرس أكثر من « دواما » والزمن الطويل لا تلتمس له النهاية التى حددها الأستاذ متولى ،

أما المأخذان الأخيران فى عدم تأتى حر العطش من الرى العذب فى البيت :

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ريها العذب أوامى

وعدم تصور حباء اللذع وأنه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع فى البيت :

قلبى الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

فحر العطش يتأتى من الرى العذب من هذه الخمرة التى تنرى دائماً بالملل والنهل فكلما روى الشارب ظمىء .

أما أن العطاء لا يكون فى اللذع فلذع القلوب واكتواؤها بنار الحب شىء يلذ العاشقين يتمنونه ويغرمون به .

بقى أن أعقب على مآخذ للأستاذ الناقد على نتاج الجامعة الذى يقول أنه ضئيل ويسير وهو مأخذ يدعو إلى الدهشة والعجب فما الذى كان يتوقعه الأستاذ من مجهود للجامعة أضخم من هذا فى عامها الأول فقد افتتحت الجامعة فروعاً عدة فى مختلف أنحاء القطر شهدتها جموع كثيرة وأذاعها الأثير على سائر أقطار الشرق والعروبة ثم أخرجت الجامعة للناس كتاباً قيما يضم الرائع من الشعر والنفيس من النثر للأساتذة العقاد ، ناجى ، غنيم ، رامى الخ

أما اقتراح الأستاذ على معالى رئيس الجامعة فى تعديل تشكيل هذه الجامعة واقصاء بعض القائمين بأمر الدعاية والعمل لها ، فقد أعلن معالى الرئيس غير مرة أن هؤلاء القائمين بالنشاط الموفور لخدمة الجامعة ليسوا من كبار الكتاب أو الشعراء فى البلد وإنما هم أناس قدموا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة الجامعة ونشر أغراضها ومبادئها مستمدين العون من قادة الفكر والبيان فى مصر وسائر أقطار العروبة .

أحمد عبد المجيد الغزالى



قصة مصرية :

أحــــزان غاليـــة

للأستـــاذ نصرى عطا الله سوس

« ... كان لهـا قلب ، وكان قلبها »
« المتمسك بالحياة سر ما تعانيه من عذاب »

كان الصمت الموحش الرهيب يخيم على قاعة المسرح المزدحمة بالجماهير التى توافدت لرؤية رواية « المنبوذ » فى ليلتها الأولى ، وكان الجميع يتتبعون التمثيل بشغف واهتمام وقد ارتسمت على وجوههم أروع العواطف وأعمق الانفعالات ...

ولم يكد يهبط الستار على الفصل الأخير وتضاء الأنوار حتى بدد وحشة الصمت دوى الهتاف والتصفيق الذى تجاوبت به أنحاء القاعة الواسعه ، وارتفع الستار مرة أخرى وقدم الممثلون للجمهور فروض الشكر والامتنان ، ثم هبط الستار مرة ثانية ، ولكن حماسة الجمهور لم تفتر بل ظل يهتف ويصفق فى نشوة وذهول كأنه يأبى الرجوع إلى عالم الواقع الذى انتزعته منه تلك المسرحية الرائعة ساعات خالدات ...

ولم تقل نشوة الممثلين ، وموظفى المسرح ، ومؤلف الرواية نفسه عن نشوة الجمهور ، فلم يكن بين كل أولئك من يقدر لهذه المسرحية التى تردد مدير الفرقة كثيراً فى قبولها مثل هذا النجاح النادر فى تاريخ المسرح كله ، نعم . إن شهرة المؤلف ومكانة الممثلين لا يتطرق إليهما شك ولكن المشكلة التى عالجها المؤلف فى مسرحية أعلى من مدارك الغالبية من رواد المسرح ؛ والحديث الذى أجراه على ألسنة أبطالها أقرب إلى حديث الفلاسفة والشعراء منه إلى حديث عامة الناس ، كما أنه هاجم أفكارا وعقائد باطلة لها على نفوس العامة سلطان كبير وإن كان لا يشك أحد فى تفاهتها وسخفها ولقد جازف مدير الفرقة بقبول الرواية للتمثيل معتمداً على ما تتمتع فرقته من ثقة وسمعة طيبة وتفنن فى الإعلان المغرى عنها وراح ينتظر النتيجة ... ونجحت الرواية فى ليلتها الأولى نجاحا فاق كل حسبان وتقدير .

ولم تنجح الرواية لقوة موضوعها وكفاءة ممثليها بقدر ما نجحت لأن امرأة شقية كانت تقوم بدور بطلة الرواية . ووفقت فى أداء دورها توفيقاً كاد يرقى إلى مستوى الإعجاز

ولم تكن « سميرة » من الممثلات البارزات فقد قضت فى دنيا المسرح أكثر من خمس سنوات وفى العام الأخير فقط بدأ المخرج يثق فيها بعض الشيء ويسند إليها بعض الأدوار الهامة .

ولكن سميرة فى تلك الليلة التى قامت فيها بدور البطولة فى رواية « المنبوذ » لم تكن نفس الممثلة التى عرفها رجال المسرح أو رواده خلال خمس سنوات ! من كان يصدق أن المرأة التى مثلت دور « نبيلة » هى نفسها ذات المرأة المحتشمة الصموت التى ألف الكل رؤيتها فى أوقات فراغها منتحية ركنا قصيا تدخن سيجارتها فى وحدة وهدوء . أجل ، لم يكن هناك من يصدق أن تنقلب سميرة التى يعرف الكل مستوى تمثيلها إلى شعلة من نار تعدى كل من اشترك معها فى التمثيل بالحرارة واللهب . . لقد كانت بمثابة القلب الحار الجياش بالدم الذى يمد بقية الجسم بالوقود اللازم للحركة والحياة .

والسر فى ذلك لم تكن تعرفه إلا سميرة وحدها ، إنها لم تمثل فى تلك الليلة دورا على خشبة المسرح ، بل كانت تعيش ، كانت تحترق . وانتهت الرواية وأسدل الستار ، وانسلت سميرة إلى غرفتها لتستريح ولم تمض دقائق حتى أندفع المؤلف إلى غرفتها واحتضنها فى حرارة وقبلها مهنئاً فراعه برودة شفتيها وشدة اضطرابها ، وبعد لحظات أقبل مدير الفرقة وهو يصيح فى طرب :

— إنى أهنىء كل منكما بالآخر .. إن روايتك يا أستاذ لن تعيش إلا مقترنة باسم سميرة ، وسميرة لم ترتق إلى هذا المستوى العالى إلا على أجنحة روايتك . . ونظر إليها فى غبطة فأذهله شحوب وجهها وما ينطق به من ألم ...

أما سميرة نفسها فقد كانت فى دنيا أخرى ، كانت ذاهلة عن نجاحها وعن كلمات الإعجاب والتقدير التى تنهال عليها ، وعن حفاوة الجمهور ومقدار تأثره . ولقد بذلت كل ما فى طاقتها لإخفاء ما بها عمن حولها ففشلت ، وحملوها إلى دارها وهى ترتعش كالمحموم .

وفى الصباح لم تقو على مبارحة فراشها . . وأرسلت تستدعى طبيباً وفحصها الطبيب فحصاً دقيقاً ولكنه لم يستطع أن يهتدى إلى علة يعزى إليها شحوبها وهزالها ... ولكن وجه المريض يعترف دائماً للطبيب الماهر بكل الأسرار التى يجتهد صاحبه فى

إخفائها ، وأستطاع الطبيب الذى عاد سميرة أن يفهم أن سر علتها لا يكمن فى جسرها : إن أعصابها المنهوكة المستنزفة ، وحسرتها الذائبة فى عينيها ، وأحزانها الراقدة فى أطواء صوتها تنطق بأنها تضم ضلوعها على صراع عنيف أو فاجعة دامية لا تريد أن تبوح بها فلم يسعه إلا أن ينصحها بالراحة التامة والتروح إلى مكان آخر لتبديل الهواء ، ووصف لها دواء للاعصاب .

وما أسهل إسداء النصح !! الراحة التامة ؟؟ لقد بكت عندما سمعت هذه الكلمة ، إنهاى حاجة إلى الراحة حقا ، ولكن أنى لها أن تنالها ؟ إن الزمن حكم عليها بالشقاء ، وأمعن فى إذلالها كأن بينه وبينها ثأراً لا ينقضى — والآن يأتى رجل غريب ويخبرها أن جسدها سليم ويفهمها فى لباقة أنه يدرك أن هناك سراً يهز أعصابها هذه الهزات المنيفة ثم ينصحها بالراحة ! !

وعلى فراش الأوجاع انفسح أمامها المجال للتأمل والتفكير ، وطافت برأسها المعانى ذكرى « المنبوذ » وكلمات الإعجاب وعاصفة التصفيق ... وعلت وجهها ابتسامة شاحبة وأغمضت عينيها وراحت تتذكر ...

أحقاً كانت تمثل دورا على خشبة المسرح ؟ تتكلف المواطف وتتصنع البكاء ، وتفتعل الحزن والألم والتنهدات ... ؟ لقد فعلت ذلك مئات المرات ، أما فى تلك الليلة التى لن تنساها فقد كانت تعرض على الجمهور مأساتها الدامية وذكرياتها الحزينة وكانت فى شبه غيبوبة وهى على خشبة المسرح فقد استولت أحزانها وذكرياتها التى ظلت سنين حبيسة لا ترى النور على مشاعرها ولسانها وتدفقت الكلمات من فمها فى ثورة وعنف حاملة فى تضاعيفها لهباً وشواظاً من أتون آلامها ... ولم تعد سميرة ممثلة تتحكم فى دورها بل إمرأة شقية تتحكم فيها ثورة آلامها وتنطقها دون وعى بما يعتلج فى صدرها ورأت بعينيها ذهول الشاهدين وسمعت بأذنيها الأنات والآهات وبكاء الباكيات فزاد تأثرها وانفعالها وتمثلت لها حياتها قاتمة الألوان دامية الجراح وأحست نحو نفسها بالشفقة والرثاء ... فكان ما كان آه لوكانت تعرف من يحس نحوها ببعض ما تحسه هى نحو نفسها من شفقة ورثاء لما تألمت كل هذه الآلام ، أو لو يقع لها فى مستقبل أيامها ما وقع لتلك الفتاة التى مثلت دورها على المسرح لشعرت ببعض العزاء وانتظرت فى صبر وأمل

كانت حوادث الرواية تدور حول فتاة جنت عليها سذاجتها وطيبة قلبها ، ظنت أن الشباب طريقا مفروشاً بالورد ولكنها لم تكن قد ادركت بعد أن الشوك يوجد دائماً حيث يكون الورد بألوانه الفاتنة المغرية . وأسلمها العبير فأغمضت عينيها وأستسلمت للأحلام .. فجرفها التيار — وأفاقت فجأة لتجد أن ثمرة الغواية تنبض فى أحشائها ، وطاف بخيالها شبح الفتيات اللواتى يتخلص منهن ذويهن ذبحا وأغتيالا فكانت صدمة هائلة لم تستطع بعدها ملاقاة أهلها فهامت على وجهها وذاقت صنوفاً من التشرد وعرفت ألواناً من الهوان . وفى دنيا المسرح ألقت عصا التسيار لتكسب قوتها بعرق جبينها ... وأيقنت فى قرارة نفسها أن تلك هى خاتمة المطاف : إنها ستظل تمثل وترقص وتعيش حياة الليل الآثمة حتى تنقضى أيامها

لقد أيقنت بعد التجارب المرة أن الرجال ذئاب وأنهم لا يرون فيها إلا متعة ساعة وسلعه يتداولها كل من يستطيع أن يدفع الثمن فعافتهم نفسها وكرهت جسدها الحار المغرى الذى كان يجذبهم نحوها فتمنحه لهم كارهة وقلبها يفيض بالعبودية والهوان — وكانت نفسها تتلوى ألماً وحزناً ولا تجد من تستطيع أن تفضى إليه ببعض ما تحس . إن المجتمع لا يفرق ، بل يدمغهن جميعاً بوصمة العار ويحكم عليهن بأن يمشن منبوذات شريدات طعمة للعار والنار ... ولا يلاحقهن — فى منفاهن — إلا طلاب المتعة العابرة ، والأرقاء الذين يبيعون العمر وينفقون ثمنه فى سوق الشهوات ... وبرغم ذلك لم تيأس ولم تستنزف أوصابها كل ما فى قلبها من طيبة وسذاجة بل كانت تتألم فى صمت وتحلم فى سكون بالحياة الهانئة الوادعة وعاشت على الأمل ومنه كانت تلتمس العزاء وتروى ينبوع الأحلام فى قلبها .

ولم تكذب الأيام ظنها ، فقد ساقت إليها يوما شاباً من أولئك الذين لا يؤمنون بقوانين المجتمع ولا يعبأون كثيراً بعرفه وتقاليده واستطاع أن يستشف من وراء حياتها الصاخبة الصارخة الألوان صفاء قلبها الذى طهرته الآلام ووجد فيها المرأة التى يبحث عنها من زمن فاصطفاها لنفسه وحررها من بيئتها وماضيها وعاش معها كأسعد ما يكون إنسان ، ضاربا عرض الحائط بسخط أهله ونقمة عشيرته وعارفيه ... وأثبتت هى للجميع أن السماء لا توصد أبوابها فى وجه تائب مهما اقترف من رذائل وشرور وأن كل آثام الأيام لا تستطيع أن تخمد تلك الشرارة الإلهية التى تودعها العناية قلب كل بشرى ...

واعجبا لذلك الفتى الذى كتب هذه الرواية ! هل استوحاها خياله أم كتب سيرة حياتها هى بعد أن استوحى الغيب وعرف

مايضمره لها الزمن فى مستقبل أيامها ... لقد ضمنها كل ماوقع لها ، وعبر فيها عن كل أشجانها وآلامها . وآمالها : لقد زلت «سميرة» كما زلت « نبيلة » بطلة الرواية وتشردت مثلها ... وأصبحت ممثلة ... ولكن السماء لم ترسل لها بعد ذلك الشاب الذى سينشلها من العذاب الذى تعيش فيه ويخلصها من الشرور والآثام التى عليها أن تقترفها كل ليلة لتعيش .

لقد قامت سميرة بدور «نبيلة» ومثلتها وقت سقوطها ومحنتها فعبرت عن مشاعرها وآلامها ، ومثلتها السعادة فعبرت عن آمالها وأحلامها فهل تتحقق الأحلام كما تحققت الآلام ؟

ياله من حلم ذهبي لم يتحقق إلا خيالا ، لقد عاشت مع رجل أحلامها على خشبة المسرح ساعات وسمعته يصرخ فى أهله عندما كانوا يحاولون ثنيه عن عزمه « نعم ... لقد عاشت فى تلك البيئة سنوات ، ولكن ما ذنبها ؟ لقد وقعت فى الشرك مرة وقبض عليها صياد قاسى القلب وأبقاها فى الأسر سنين فهل يمكن للسنين أن تنسيها حريتها ؟ والآن وقد تحطمت أسلاك القفص الذى احتواها طويلا ... فهى تتطلع نحو السماء فى لهفة وفرح ... ثم تنشر جناحاها وتتجه مسرعة نحو الحرية والنور ... » ويطول الجدل معه فيضيق بهم ويصرخ فيهم ... « لقد قلت لكم إنى أحبها وهى أيضاً تحبنى ولن أتخلى عنها ... إن الحب معجزة أيها الناس يجعل المستحيل ممكناً . لا ، لا ، لست مخدوعا بل أناموقن أنها عذراء القلب نقية الروح »

يا إلهى ... أيها الغفور الرحيم ، هل سترحمها وترسل لها رجلا مثله تراه بعينيها على مسرح الحياة ؟ أم تطوى العمر وهى تنتظر ؟

وقضت سميرة فى فراشها أياماً طويلة كانت نفسها خلالها مسرحا لمختلف العواطف والانفعالات والأزمات . كانت تسترسل فى البكاء ساعات طويلة حتى تتقرح جفونها وتنام وتستيقظ والدموع على صفحة خديها

وتسرب إلى قلبها اليأس والسخط على الحياة

وأغراها السخط بالتمرد على القدر !

لم يقسو الزمن عليها كل هذه القسوة ... ؟ ألا تكفى سنوات طويلة من الآلام والعذاب كفارة عن خطيئة انساقت إليها دون وعى أو إرادة ؟ آه ... ماذا ينفع الندم الآن ؟

وغاظها موقفها من نفسها : لقد ظلمها الزمن وغدر بها ، فلم تضيف إلى ظلم الزمن لها ظلمها لنفسها ؟ لم كل هـذا البكاء والندم والألم ؟ هل تستحق هذه كل هذا ؟ !

واختمرت فى رأسها الفكرة وأرادت أن تثأر لنفسها ...

وعندما غادرت فراشها لم تعد تحس أنها نفس المرأة التى مثلت دور « نبيلة » فبكت وأبكت ...

الحياة البوهيمية الصاخبة ، والكؤوس الترعة ، والليالى الماجنة الحمراء تشفى الجراح التى استعصت على الزمن ..

وأدهش الناس تغيرها ، ماذا جرى لهذه الفتاة المحتشمة الرزينة العازفة عن حياة الليل ؟ لقد كانوا يضربون بعزة نفسها الأمثال فما بالها أصبحت يسيرة المنال على كل من يطمع فيها . . !

ونجحت سميرة وعلا نجمها

وسرعان ما اشتدت المنافسة عليها وكثرت العروض، وتشاحن عليها فرسان الليل ، ولم تعد حياتها فى الماضى إلا حلماً باهتا يطارده بريق الذهب الذى تلهو به الآن كما يلهو الأطفال برمال الشاطىء .

هاهى تنتقم من الرجال . إنهم يتملقون رغباتها ونزواتها وهى تلهو بعواطفهم وتدوس قلوبهم وتستنزف جيوبهم لتعيش عيشة البذخ والترف وظهر اسمها فى الصحف وأخذت المجلات تتبع أخبارها وتنشر صورها وتتندر بأن ماتنفقه على كلبها المدلل السعيد يكفى عائلة متوسطة الحال ...

هل تستطيع الحياة أن تمنح أكثر من كل هذا النعيم ؟ ليتها عرفت منذ أن طرقت دنيا المسرح ! لقد أضاعت خمس سنوات من عمرها فى الندم والألم منزوية فى ركن مظلم وموكب الحياة يمر بها وهى عازفة عنه كأنه لا يفتنها أو يثيرها

ودارت عجلة الزمن دورات وسميرة مندفعة فى تيار اللهو الصاخب اندفاعا لم يقو على وقفه ما كان يعتريها أحيانا من ثورة وتمرد وبغضاء للرجال ، لقد كانت منذ مرضها ذاهلة عن نفسها وكانت أعصابها تحت تأثير مخدر قوى هو الرغبة فى الثأر لنفسها .

ولكن روح القلق التى كانت تستبد أحياناً تغلبت فى النهاية وعادت أيامها نهباً للأسى والوجوم من جديد . إن الحزن يعصر قلبها عصراً وتحن إلى الدموع فلا تسعفها الدموع وتحاول أن تغرق همومها كما أعتادت فى اللهو والصخب ولكن همومها تعلمت العناد وهزمتها فى النهاية ! إنها تحس الآن ما يحسه الشريد الضال الذى يهيم على وجهه فى الصحراء يبحث فى ذعر عن شيء يهتدى به فلا يجد ، فتزداد روحها وحشة وكآبة وضيقاً بالحياة .

والأمر الذى زادها ضيقاً وألماً عجزها عن أداء أدوارها على

السرح أداء طيباً ، فقد كانت تروح وتجيء على المسرح كأنها دمية خشبية تنطق بألفاظ لا تحسها ولا تفهم لها معنى وأصبحت حياتها على المسرح كحياتها الواقعية باهتة الألوان مضطربة الظلال وبدأ صاحب الفرقة يتنكر لها فازداد طبعها حدة فكانت تثور لأتفه الأسباب وتصب شتائمها على رؤوس الناس دون حساب .

وهالها ما صار إليه أمرها ، ورأت بعينيها الهوة التي تكاد تنفغر تحت قدميها وسألت نفسها : إنها تحيا هذه الحياة المتشابهة في ظواهرها ووقائعها من سنوات فما الذي ضاعف بؤسها هذه الأيام ؟؟ ولم تجهد نفسها كثيراً لتجد الإجابة على هذا السؤال ! لقد حاولت أن تقيم من حياة المجون سداً بينها وبين آلامها ولكن المجون لم يزدها إلا شقاء وآلاماً .

وعافت حياة المجون مرة أخرى ، وتلفتت إلى الوراء لتلقى نظرة على الماضي ولكن طريق الرجوع لم يكن مهلا ... كان عليها أن تعيش عيشة التهتك والاستهتار كي تستطيع أن تلبس وتسكر وتقامر حتى لا يقتلها السأم والملل . وتهرب من مواجهة ضميرها ، نعم ضميرها الذي بدأ يستيقظ ويزلزل كيانها .

وسارت في تيار الأيام كما تسير ورقة ذابلة على متن الأمواج شاعرة أن قلبها قد مات وأنها لم تعد تحزن وتثور وتفرح وتضحك من كل قلبها كما اعتادت أن تفعل ، لقد طردت قلبها من عالم ذكرياتها وأوصدت دونه الباب آملة أن تجد له مستقراً آمناً من عالم الذكرى والآلام ولكنه ظل شريداً هائماً كسفينة تائهة في مجاهل المحيطات ، إنها لم تعد تملك من أمر نفسها شيئاً بل أصبحت أسيرة الحياة وعليها أن تعيش . . .

وعاشت ... تكفن أيامها ولياليها في قبور مضيئة لامعة ضاحكة يتقاذفها عاملان : الحياة التي فرضت نفسها عليها ، وروح السخط والاستنكار التي كانت تتسلط عليها أحياناً فتنتزعها من من حياتها وتستخلص منها ضريبة الألم والدموع .

وفي إحدى الليالي كانت كعادتها تلهو وتمرح وتعب الكأس بعد الكأس ولكن الذي يتفرس في وجهها كان يوقن أنها حزينة : كانت تحس بحنين غامض نحو شيء لا تدرى كنهه وكانت عيناها الملبدتان بالأكدار تستنجدان بالدموع ... وحاولت جهدها أن تقاوم فلم تستطع ، وآثرت أن تنصرف إلى دارها مبكرة وحاولت تنام فلم تستطع .

وانسرقت روحها إلى الماضي وعاد إلى خاطرها ذكرى الليلة التي مثلت فيها دور « نبيلة » لأول مرة ...

وأفاقت ذكرياتها لكن من غفوتها وبدت أمام عينيها أطياف الأمل التي كفت عن التفكير فيها منذ أمد طويل .

وحاولت أن تكتم شجونها فلم تستطع وانفجرت الدموع من مآقيها غزيرة طيعة ، وأحست نحو نفسها باحتقار هائل .

ولم تشعر كم مضى من الزمن وهي تبكى لأنها كانت تجد في البكاء لذة وسعادة ظلت محرومة منها طويلا . ودهشت عند ما استيقظت في ظلام الليل كيف استولى عليها النعاس دون أن تشعر وهي جالسة على أريكتها تبكى . واستهواها الظلام والسكون فجلست تفكر وعاودها الشوق الجارف نحو شيء يهز حياتها هزاً عنيفاً ويستحوذ على قلبها وأيامها ولياليها ولا يترك لها وقتاً للتفكير في نفسها ...

وساءلت نفسها : هل هي جديرة بأن تتمنى وتطمع في حياة الدعة والسلام بعد أن لطخت حياتها بالأوحال ؟؟ كيف جاز لها أن تنسى قلبها ؟ وكيف أباحت لنفسها ما أباحت وحجبت عن عينيها أنوار الأمل ؟

لقد كانت آلامها منبع شجاها ونوحها ، ولكنها طردتها من حياتها فطردت معها ثروة عمرها التي تسبغ على حياتها أعمق الألوان وأصفاها . لقد كان الألم حقاً ، ولكنه كان محراب روحها الذي فيه تتعبد وتوقد الشموع وتحرق البخور من دمها وأعصابها فتحس أن الأيام ما زالت تحتفظ لها بنضارة قلبها ويقظة ضميرها ، وما أغلاهما من ثروة

وتاقت روحها إلى حياة الماضي ، إلى العزلة والانطواء على النفس . إنها تود أن تفرغ من جديد لآلامها وآمالها تحتضنها وتمنحها دفء قلبها كما يحتضن الطائر فراخه الصغار .

وظلت تفكر وتحلم حتى باغتها النوم مرة أخرى .

ولم تستيقظ إلا قبيل الضحى ...

وتأملت وجهها في المرآة فراعها انتفاخ عينيها واحمرارهما والألم الممض الذي تنطق به قسمات وجهها . ذلك الألم الذي ظنت أنها قد قطعت بينه وبينها كل السبل .

وتنفست هواء الصباح في ارتياح كأن ثقلا قد انزاح عن صدرها .. وكانت تحس — للمرة الأولى منذ مرضها — بما يحسه التائه في الصحراء عندما تلوح له معالم العمران من بعيد .

(شبرا ، مصر) نصرى عطا الله سوسو

مطبعة الرسالة